الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بغرداية
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الحوار في القرآن الكريم

قصة إبراهيم عليه السلام نموذجًا

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات شهادة اللّيسانس في اللّغة العربيّة وآدابها

اللّغة والدّراسات القرآنية

من إعداد الطالبين:

- إبراهيم حواش
- عيسى دودو

الأستاذ المشرف:

د. مصطفى الغماري

1432 هـ - 1433 هـ / 2011 م – 2012 م

مُقَدِّمَة

إنّ الحمدَ للهِ نحمده – سبحانه – ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ باللهِ من شُرُورِ أنفُسِنَا وسيّئاتِ أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلاَ مُضِلَّ لهُ ومنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ له.

ونشهد أنّ لا إله إلاّ اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ له، له الملك وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير، ونشهد أنّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فإنه من فضلِ اللهِ علينا أن يَسَّرَ لنا البحثَ في موضوعٍ جليلٍ عظيم، استمدَّ عظمته من حيثُ أنه صادرٌ عن كلامِ ربِّ العالمين، والموضوع: الحوارُ في القرآنِ الكريم، قصةُ إبراهيم عليه السلام نموذجاً.

وإنّنا إذْ نُقَدِّمُ لهذا البحثِ فسنبيِّنُ أسبابَ اختيارِنَا لهذا الموضوع، ثم الخطَّة التي انتهجْنَاهَا:

فمّا أسبابُ اختيارِ الموضوعِ فهي:

- إسهامُ هذا الموضوعِ في جانبِ الاستفادةِ من القصصِ القرآنيِّ الكريم، وذلكَ حتَّى لاَ يكُونَ القصصُ مُجَرَّدَ آياتٍ تُتْلَى ويُتَسَلَّى بها، بل لِيكونَ ذَا أَثَرٍ كبيرٍ في حياةِ الأفرادِ والمجتمعاتِ لما له من المعانِي والعبرِ والفوائدِ والعظاتِ والدُّروسِ العظيمة.

- وإنّ هذا الموضوعَ ليعتبرُ مجالاً خصبًا يقدِّمُ للدُّعاةِ والمصلحينَ الوسائلَ والأساليبَ الدَّعَوِيَّةَ المناسبة، ويُسَاعِدُهُم على النَّجاحِ والوُصولِ إلى الأهدافِ المطلوبةِ في مهمَّتِهِم الدَّعوية التي يُزاولُونها مع من يقُومُونَ بدعوتِهِم وإرشادِهِم.

- وكذلك لما يحتويهِ – أيضًا – من إبرازِ أهمِّيةِ أَمْرِ العقيدةِ بل وتصحيحها، والدِّفاعِ عنها والوقوفِ عند حدودها، مع التَّغَلُّبِ على العاطفةِ سواءً أكانتْ من جانب الدُّعاة أو المدعُوِّينَ فإنَّا نلحظُ الابنَ يعلنُ العقيدةَ الحقَّةَ ولو في وجهِ أبيه.

- وكذا محاولةً مِنَّا لإبرازِ الدَّورِ القياديِّ والقدوة الخالصةِ التي صدرتْ عن إبراهيمَ عليه السلام بما ينفعُ الفردَ والمجتمعَ في دينه ودنياه، لِيَحْذُوَ حَذْوَهُ في التَّضحيةِ في سبيلِ الله.

أمّا الخطَّةُ التي انْتَهَجْنَاهَا فتشتملُ على مقدمةٍ وتمهيدٍ وفصلين كل فصلٍ يحوي ثلاثةَ مباحث وخاتمة، الفصل الأول مدخلٌ إلى حواراتِ إبراهيم عليه السلام في القرآن، ومباحثه كالتالي: المبحثُ الأولُ يَضُمُّ تعريف الحوار نشأته وأهدافه، أمّا المبحثُ الثاني فَيَضُمُّ أنواعَ الحوارِ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، والمبحثُ الثالثُ يحتوي موضوعاتِ الحوارِ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن. في الفصل الثاني ننتقلُ إلى منهجِ إبراهيمَ عليه السلام في حواراتِه في القرآنِ وثماره، ومباحثه كالآتي: المبحث الأول يتحدث عن أساليبِ الحوارِ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، والمبحثُ الثاني يَضُمُّ ضوابطَ الحـــوارِ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، وأخيراً المبحثُ الثالث حيث الدُّروسُ والعبرُ المستفادةُ من الحوارِ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن. وتتلو هذه المباحثَ خاتمةُ البحثِ التي تشتملُ على أهمِّ النتائجِ المستخلصةِ من البحث، والتَّوصِياتِ المقترَحَة.

هذا وإنَّا لنشكُرُ اللهَ سبحانَهُ وتعالى على أن وفَّقَنَا لإتمامِ هذا البحثِ مع اعترافِنَا الخالصِ بالعَجْزِ والتَّقْصِير، فإن أخطأْنا فمن أنْفُسِنَا وإن أصَبْنَا فَمِن الله سبحانه وتعالى، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

لقد أثارَ القرآنُ الكريمُ في أساليبِهِ الرِّساليةِ أكثرَ من أسلوبٍ من أجلِ الوصولِ إلى عقلِ الإنسانِ وشعورِهِ فيما يفكِّرُ به في قضايَا العقيدةِ والحياة ليقتنِعَ بالفكرةِ الحقِّ التي ترتبطُ بالله، وبالطريقِ الحقِّ الذي يَصِلُ بالإنسانِ إلى الله، في أجواء رائعةٍ تتحوَّلُ فيها العقيدةُ إلى قضيةٍ تمتزجُ بالإحساسِ والشُّعور، كما تنطلقُ فيه المشاعرُ الرُّوحيةُ في أجواء فكريةٍ واسعة.

وكانت القصَّةُ من بين الطُّرقِ التي سلكها القرآنُ في هذا السَّبيلِ سواءً في القصَّةِ التاريخيةِ التي تتحدَّثُ عن تاريخِ الأنبياءِ السَّابقينَ والأممِ السَّابقةِ، أو القصَّةِ التي تذهبُ مذهبَ المثلِ في عَرْضِهَا لبعضِ الصُّورِ الاجتماعيةِ المتحركةِ في واقعِ الحياةِ، أو القِصَّةِ القصيرةِ الخاطفةِ التي تُشِيرُ إلى موقفٍ خاصٍّ أو نموذجٍ بشريٍّ معيَّن.

ولم تكن القصَّةُ في أغراضِها وأهدافِها تستهدفُ عرضَ التاريخِ لمجرَّد التاريخ، بل كانت القِصَّةُ القرآنيَّةُ مرتبطةً بالخطِّ القرآنِي الكبيرِ وهو الدَّعوةُ إلى اللهِ وإرشادُ النَّاسِ إلى الحقِّ وهِدايتُهُم إلى الإيمانِ باللهِ والإسلامِ له، وإخراجُهُم من الظُّلُماتِ الحالِكَةِ إلى النُّورِ المنطلقِ في آفاقِ اللهِ ورِحَابه، وبهذا كانت أغراضُ القصَّةِ القرآنيةِ سائرةً في هذا الاتِّجاهِ في كلِّ ما عرضَهُ القرآنُ من تاريخٍ وصوَّرَهُ من واقع، حتى رأينا القصَّةَ القرآنيَّةَ التاريخيَّةَ الواحدةَ تتكرَّرُ في أكثر من سورةٍ على أساسِ علاقَتِهَا بالفكرةِ التي تتحرَّكُ السُّورَةُ في إطارِهَا وحاجةِ الفكرةِ إلى بعضِ جوانبِ القِصَّة.

ومن أبرزِ الأساليبِ الحكيمةِ والبليغةِ التي استعملَها القرآنُ الكريمُ في إقامةِ الأدلةِ على وحدانية الله تعالى وعلى صدقِ رُسُلِهِ الكرامِ - عليهم السلام - فيما يُبَلِّغُونَهُ عن ربِّهم ﷻ: أسلوبُ الحوارِ من أجلِ الوصولِ إلى الحقِّ عن اقتناعٍ عقليٍّ وارتياحٍ نفسيّ، يجعلُ صاحبَهُ يعيشُ حياتَهُ وهو ثابتٌ على ما آمَنَ بِهِ ثباتاً لا يُنَازِعُهُ رَيْبٌ ولا يُخَالِطُهُ شَكّ.

ولعلَّ من الأدلَّةِ على ذلك أن مادَّةَ: " القول "، وما اشْتُقَّ منها: كقال، يقُولُ، وقُلْ...، هذِهِ المادَّةُ التي تدل على التحاوُرِ والمراجعةِ بين الناس في أمور معينة، قد تكرَّرَت في القرآنِ الكريمِ أكثر من ألفٍ وسبعمائةِ مرة.[1]

وسنتناولُ في بحثِنَا هذا موضوعَ الحوارِ في قصةِ إبراهيم[2] عليه السلام، فهو نبيٌّ عظيمُ الأهميةِ في القرآنِ الكريمِ بما يُسبغه عليه الله سبحانه وتعالى في آياتِه من صفاتٍ كثيرةٍ تَقِفُ به في مركزِ القمَّةِ والأبُوَّةِ بين الأنبياء قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّآءَ وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾.[3]

وهو كذلكَ من أُولِي العزمِ من الرُّسُلِ فقد جاهدَ في سبيلِ الدَّعوةِ إلى عبادةِ الله ووحدانيتهِ وعرَّضَ نفسَهُ للهلاكِ في سبيلِ العقيدةِ التي آمنَ بهَا وكانت حياتُهُ سِلْسلَةَ تضحياتٍ لِرَبِّه فضربَ بعَمَلِهِ مثلاً حيًّا لكافةِ الأممِ من بعدهِ عن الإخلاصِ والتَّفَاني في محبَّةِ الله، كُلُّ ذلكَ جعلَهُ خليلاً للرَّحمنِ بكلِّ ما تمثِّلُهُ هذه الكلمةُ من قِيَمٍ ومعانٍ كبيرة: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾.[4]

وهو عليه السلام أَبُو الأنبياءِ وإمامُ الحنفاء، وإليه يَنْتَسبُ المؤمنونَ كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيءُ وَالذِينَ ءَامنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُومِنِينَ ﴾.[5] ولم يأمر اللهُ تعالى رسولَهُ محمداً صلى الله عليه وسلم أن يَتَّبِعَ مِلَّةَ أحدٍ من الأنبياءِ غيره، فقال عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.[6]

---

1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 554،578.

2) هو إبراهيم بن آزر (تارخ) بن ناحور بن ساغور بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، (قصص الأنبياء، ج 1، ص 117).

3) [الأنعام-84،86].

4) [النساء-125].

5) [آل عمران-68].

6) شواهد اليقين في استدلال الخليل عليه السلام على ربّ العالمين، ص 7،8. والآية: [النحل-123].

وُلِدَ إبراهيمُ عليه السلام بِبَابِل، وهي أرضُ الكلدانيين، ونشأَ بها وكان قومُها حِينَذَلِكَ يعبُدُونَ الأصنام، ينحِتُونَها بأيدِيهِم ثم يجعلونَها أرباباً من دونِ الله، وكان يحكمهم ملكٌ اسمه: النمرود بن كنعان، وكانَ هذا الملكُ طاغيةً جبَّاراً، وقد دَعَا قومَهُ إلى عبادته.[1]

وفي هذه البيئةِ الكافِرَةِ ينشأُ إبراهيمُ عليه السلام، ولكنْ تأخُذُهُ يدُ العنايةِ الإلهيةِ وتجعَلُهُ سبباً في إزالةِ الضَّلاَلِ على الأرض، ويؤتيه الله رُشْدَهُ في صغره: ﴿ وَلَقَدَ اتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾[2]، أي كانَ أهلاً لذلك، فَبَصَّرَهُ الله عز وجل بالحقيقةِ العظمى: أنَّ اللهَ وَاحِد، وأنَّهُ المهيمنُ وَحْدَهُ على هَذَا الكَوْن، وأنَّهُ هو الذي يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَد. وبعد أن تبيَّنُ له هذا الحقُّ عَزَمَ على تبليغِهِ للنَّاس، ورَدِّ النَّاسِ عمَّا هم فيه من الوثنيةِ والشِّركِ باللهِ إلى عبادةِ الله.

ولقد كَثُرَ الحديثُ في القرآنِ الكريمِ عن إبراهيمَ عليه السلام حتَّى شمِلَ خمساً وعشرينَ سورةً[3] في جوانبَ مختلفةٍ من حياته، بأساليبَ متنوعةٍ من الحوار، منها ما كان في حوارِهِ مع نفسِهِ ومع ربِّه ومع قومه ومع طاغية زمانه (النمرود) ومع الملائكة الذين جاؤُوا إليه في قصَّةِ لوطٍ وفي قصَّةِ تبشيره بولادةِ ابنٍ لَهُ بعد يأْسٍ وكِبَر.

وسنتعرَّفُ على أساليبَ عديدةٍ من الحوار - في قصصه - في مجالِ الدَّعوةِ إلى الله عز وجل، أو في مجالِ التعبيرِ عن بعضِ القضايا المهمةِ في موضوعِ الإيمان، وسنكتَشِفُ من ذلك أهمَّ خصائصِ شخصيةِ إبراهيمَ عليه السلام.

---

1) قصص الأنبياء، ، ج 1، ص 128.

2) [الأنبياء-51].

3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 1،2.

خطة البحث

مقدمة

تمهيد

خطة البحث

الفصل الأول: مدخل إلى حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن

المبحث الأول: تعـــريفُ الحوار، نشأتـــهُ وأهدافُه.

المبحث الثاني: أنواعُ الحوارِ في قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن

المبحث الثالث: موضوعاتُ الحوارِ في قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن

الفصل الثاني: منهجُ إبراهيم عليه السلام في حواراتِه في القرآن وثمراتُه

المبحث الأول: أســـاليبُ الحوار في قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن

المبحث الثاني: ضـــوابـــطُ الحـــوارِ في قصـــة إبراهيم عليه السلام في القرآن

المبحث الثالث: الدُّروسُ المستفادةُ من الحوارِ في قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن

خاتمـــة

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

▪ الفصل الأول: مدخلٌ إلى حواراتِ إبراهيم عليه السلام في القرآن

• المبحث الأول: تعريفُ الحوار، نشأتُه وأهدافُه

إنَّ الحوارَ لا يكتملُ معناهُ في الأذهانِ ولا تتفتَّحُ صُورَتُهُ حتى نَقِفَ على مفهومهِ، ولا توجدُ صورةٌ أمثلُ من استعراضِه في القرآنِ حتى يتبين لنا معناهُ بِجَلاَءٍ ووُضُوح.

أولاً: الحوار:

الحوار في اللُّغة: أصله من الحَوْر – بفتح الحاء وسكون الواو – وهو الرُّجوعُ عن الشيء وإلى الشيء. قال لبيد بن ربيعة:

وما المرءُ إلاَّ كالشِّهَابِ وضوئه يَحُورُ رماداً بعد إذ هو ساطع

ويقال: حَارَ بمعنى رجع. وهم يتحاورون أي يتراجعون، وحاورته: راجعته الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وكلمته فما حَارَ جواباً.[1]

قال الأخطل:

هَلاَّ ربعتَ فتسألَ الأطْلاَلاَ ولقد سألتُ فما أحرْنَ سُؤالاً[2]

فالحوار هو المراجعة في الكلام، قال القرطبي: ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ تحاورك أي تراجعك الكلام.[3]

ويقول الإمام الزمخشري: يحاوره أي يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحارَ كلمةً.[4]

---

1) لسان العرب، ج4، ص 217. والقاموس المحيط، ج 2، ص 15.
2) أساس البلاغة،ج 1، ص 221.
3) تفسير القرطبي، ج17، ص 272. والآية [المجادلة-01].
4) تفسير الكشاف، ج4، ص 484. والآية [المجادلة-01].

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾[1] أي يرجع إلى ربه.

ويأتي الحوار بمعنى المجاوبة. والتحاور التجاوب، ويقال كلمته فما أَحَارَ إليَّ جواباً، وما رجع إليَّ حويراء ولا ممحورة ولا حواراً، أي ما ردَّ جواباً.[2]

في القاموس المحيط: المحاورة: الجواب، وتَحاوَرُوا: راجعوا الكلام بينهم، والتحاور التجاوب.[3]

ويأتي الحوار بمعنى المخاطبة، ويقول الطَّبَري: ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ أي وهو يخاطبه ويكلمه.[4]

الحوار في الاصطلاح: هو الحديث بين اثنين أو أكثر، يتم فيه تبادل الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر. ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.

وهو ضربٌ من الأدبِ وأسلوبٌ من أساليبه، وحالةٌ من التفاعُلِ والتجاوب.

ورد لفظُ الحوارِ في القرآنِ الكريمِ في ثلاثةِ مواضعَ كُلُّهَا بالمعنى المحمود:

- ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[5]
- ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾[6]
- ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾[7]

نشأةُ الحوار:

---

1) [الانشقاق-14].
2) الصحاح، ج2، ص 638.
3) القاموس المحيط، ج2، ص 16.
4) جامع البيان، ج15، ص 302. والآية [الكهف-37].
5) [الكهف-34].
6) [الكهف-37].
7) [المجادلة-01].

جَاءَ في القرآنِ الكريمِ عن الإنسانِ قوله ﷻ: ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾[1]، فقد نستوحِي من هَذِه الآيةِ الكريمةِ أنَّ هَذِه الصِّفَةَ – الجدل – من الصِّفَاتِ اللاَّزمةِ للإنسانِ في طبيعةِ خُلُقِهِ وتكوينه، تماماً كبقيةِ الصِّفَاتِ الفِطْرِيةِ التي تُمَيِّزُهُ عن سائرِ المخلوقات.. فقد فُطِرَ الإنسانُ على أن يواجِهَ الحياةَ، بكُلِّ ما فيهَا من أوضاعٍ وأحداثٍ وملابساتٍ وأفكارٍ بعقليةٍ منفتحةٍ قلقةٍ لا تستقرُّ على حال، فتراه يُفَتِّشُ عن الشَّيءِ وضدِّه، وعن الحقِّ والباطِلِ، لِيُجادلَ في هذا ويُحَاوِرَ في ذاك، فلا يتيقَّنُ إلا ليتمَلْمَلَ في رحلةٍ جديدةٍ نحو الشَّكِّ.. ولا يشُكُّ إلا لِيبدأَ رحلتَهُ الطَّويلةَ إلى اليقين.

وهكذا تتنوعُ الأفكارُ والآراء، وتختلفُ في كُلِّ مرحلةٍ من مراحلِ حياتِهِ تبعاً للقضايَا التي تُثَارُ والمناقشاتِ التي تدور، والأوضاعِ العامةِ التي تفرضُ هذا الرَّأْيَ أو ذاك، مما يجعلُ قضايُا الفِكْرِ تتنامَى وتتصاعَد، وتتضخَّمُ وتُخَلِّفُ وراءَهَا عَدِيداً من الأتباعِ والأنصارِ الذينَ يُكَوِّنُونَ في حياةِ البشريةِ دوائرَ مختلفة تتميزُ بمميزاتٍ فكريةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وسياسية.

وفي ضوءِ ذلكَ كُلِّه ينشأُ الجدلُ ويتحولُ إلى أسلوبٍ من أساليبِ الإقناعِ تارةً، والتبريرِ أخرى، أو التلاعبِ بالألفاظِ والتركيزِ على القوةِ البيانيةِ التي تتلاعبُ بالمفاهيمِ مرة ثالثة، كل ذلكَ في محاولاتٍ متنوعة، تستهدفُ الدُّخولَ في المعركةِ الفكريةِ والعقائديةِ التي تخوضها كلُّ الأطرافِ لتسجِّلَ لنفسها الإنتصار، أو تواجه في موقفها مرارة الهزيمة.

ولابدَّ للحقِّ في مثلِ هَذِه الأجواءِ أَنْ يُواجهَ ذلكَ كُلَّه بأساليبَ مماثلةٍ أو متفوِّقَة، لأنَّ الطَّريقَ إلى فكرِ الإنسانِ وقلبِهِ لم تعُدْ خالية، بل أصبحتْ مزدحمةً بكثيرٍ من المفاهيمِ والآراءِ التي تَحْجُبُ عنه الحقَّ أو تمنعُهُ من وضوحِ الرُّؤية، مما يتطلَّبُ جُهداً كبيراً في تمهيدِ الطَّريقِ التي يسلُكُهَا إلى حياةِ الإنسانِ الفكريةِ والعقيديةِ من حيثُ الأسلوبِ والفكرة.

---

1) [الكهف-54].

وكان الإسلامُ قريباً إلى هَذَا الجو، فأرادَ أَنْ يُخَطِّطَ للإنسانِ طريقَهُ إلى الإيمانِ مِنْ دُونِ أَنْ يَفْرِضَهُ عليه، فَعَمِلَ عَلى أَنْ يَقُودَهُ إليه، ويدُلُّهُ عَليه مِنْ موقعِ ممارستِهِ لإرَادَتِه، لِينطلقَ فِيه على أساسِ حُرِّيةِ الإرادةِ والاختيار.

فكان الحوارُ هو الذي يتمثلُ في إدارةِ الفكرةِ بين طرفينِ مختلفينِ أو أطرافٍ متنازعة، وكان الجدالُ هو الذي يتجسَّدُ في إعطاءِ الحوارِ قوَّةَ العنادِ للفكرةِ والإصرارِ عليها، وكانتِ الحُجَجُ والبراهينُ التي يتجهُ فيها كُلُّ طرفٍ من أطرافِ الحوارِ والجدالِ إلى إعطاءِ الفكرةِ القوةَ الفكريةَ التي تجعلُ منهَا شيئاً يستندُ إلى أساسٍ ثابتٍ متين.

وكانت كُلُّ هذه الأمورِ الطَّريقَ العمليَّ لمواجهةِ الإنسانِ بقضايا الحقِّ والباطل، لِيُؤْمِنَ بِهَذَا ويَكْفُرَ بِذَاكَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِمَّا يُؤْمِنُ أو يَكْفُرُ به، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيِيَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾.[1]

أَهْدَافُ الحِوَار:

الأهدافُ التي شَرَعَهَا اللهُ للحِوَارِ جَمعت بين هذين الشَّرطينِ الأسَاسِيَيْن:

الأوَّلُ: الإخلاصُ للهِ تعالىَ وهَذَا شَرْطٌ في كافَّةِ العِبَادَاتِ وهُوَ هَدَفٌ أُخْرَوِيّ.

الثَّاني: أَنْ يَكُونَ الهدفُ صالحاً وهُوَ مَا وَافَقَ الشَّرِيعَة.

فلا تكفي النِّيةُ الصَّالحةُ بل لابُدَّ من اجتماعِ الشَّرطينِ معاً، وقد جَمَعَ اللهُ هذين الشَّرطين في قوله ﷻ: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾.[2]

أمّا الأوَّلُ: فيَرْجِعُ إلى النِّيةِ والقَصْدِ وإرادةِ اللهِ والدَّارِ الآخرةِ، بعيداً عن طَلَبِ المالِ والجاهِ ومتاعِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ وقد جَاءَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ تُشِيرُ إلى أَهَمِّيةِ هَذا الأمْرِ ومنها قوله ﷻ:

---

1) ينظر: الحوار في القرآن، ص 22،21. والآية: [الأنفال-42].
2) [الكهف-110].

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾[1]، ويقـــولُ ﷻ: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾[3]، كما ذَمَّ اللهُ مَنْ كَانَتْ إِرَادَتُهُ مَقْصُورَةً عَلَى الحياةِ الدُّنيَا دونَ الآخِرة: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[4] وقال أيضاً: ﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾.[5]

أمّا الثاني: فهو أن يكونَ الهدَفُ مشروعاً في ذاته. والهدَفُ العامُّ منَ الحوارِ الذِي شرعَهُ اللهُ هو الدَّعْوَةُ للدِّينِ الإسلاميِّ والدِّفاعُ عنهُ وبَيَانُهُ للنَّاس، ويندرِجُ تحتَ هَذَا الهَدَفِ العَامِّ أهدافٌ عديدةٌ منها:

1) دعوةُ غيرِ المسلمينَ إِلى الإسلامِ وإقامةُ الحُجَّةِ عليهم.
2) الحوارُ مَعَهُمْ لِبَيَانِ ما هُم عليهِ من البَاطِل.
3) الحِوَارُ مَعَهُمْ للرَّدِّ عَلَى شُبُهَاتِهِمْ وَطَعْنِهِمْ فِي الإِسْلاَم.
4) الحِوَارُ مَعَهُمْ لِتَثْبِيتِ المُؤْمِنين.
5) الحوارُ مَعَهُمْ لتحقيقِ مصالحِ المسلمينَ المشرُوعة.

---

1) [الإسراء-18،19].
2) [هود-16].
3) [الشورى-20].
4) [النجم-29].
5) [النازعات-38،39].

▪ المبحث الثاني: أنواعُ الحِوَارِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن

لقد أخذَ حوارُ الأنبياءِ عليهم السَّلام مع أقوامهم حيِّزاً كبيراً من قصصِ القرآنِ، والقرآنُ الكريم عُنِيَ بقصةِ إبراهيم عليه السلام في سُورٍ تَسْتَعْرِضُ حياتَهُ وجهادَهُ ومواقفَهُ مع أهلهِ وقومِهِ في أماكِنَ وأزمنةٍ مختلفة، تَبْرُزُ لنا فِيها شخصيةُ الخليلِ إبراهيم عليه السلام لِتُعطينَا القُدوةَ والمثلَ الحَسَن: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُ ﴾[1]، فتتنوَّعُ حواراته وتتعدَّدُ في كتابِ اللهِ عز وجل، ولقد ذُكِر إبراهيمُ عليه السلام في القرآن الكريم 69 مرة في 25 سورة، وقِصَصُهُ عليه السلام وردت في 14 سورة، أما القِصصُ التي تحتوي حواراتِ إبراهيم عليه السلام فقد وردت 13 مرَّةً في 10 سور:[2]

يتنوع الحوار في القرآن الكريم وفق أجناس المحاورين، وينقسم إلى ستة أقسام:

- بين اللهِ تعالى وأحدٍ من خلقه.
- بين المؤمنينَ من الإنسِ والملائكة.
- بين مؤمنٍ وكافر.
- بين إنسانٍ وحيوان.
- بين الكافرين.
- بين الجنّ.

ووفْقَ أجناسِ المحاوِرينَ نجد في حواراتِ إبراهيم عليه السلام ثلاثة أنواع وهي:

- **بين الله تعالى وأحدٍ من خلقه:** بين الله تعالى وإبراهيم عليه السلام: 1.
- **بين مؤمنٍ وكافرٍ:** بين إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه والنمرود: 7.
- **بين المؤمنين من الإنس والملائكة:** بين إبراهيم وابنه والملائكة المرسلين: 5.

---

1) [الممتحنة-04].

2) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 1،2.

1) سورة البقرة: في الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنَ اتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَآ أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَاتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1]، والحوار هنا من النوع الثاني: بين مؤمنٍ وكافرٍ، وتحوي هذه الآيةُ حِوَارَ سَيِّدِنا إبراهيم عليه السلام مع مَلِكِ زَمَانِهِ النُّمرود وقد أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ بعد أن رَآهُ قد خَرَجَ من النَّارِ سالماً لكنَّهُ أبى واستكْبَرَ وحاجَّهُ في ربِّهِ مُواجهاً إياه بمُلكه وجبروته، إلا أنَّ إبراهيمَ عليه السلام حَاوَرَهُ بأسلوبٍ هادئٍ وأفحمه في نهايةِ الحوارِ وأثبتَ له ألوهيةَ رَبِّهِ وبُطلانَ مَا يَزْعَمُهُ من رُبُوبِيَّةٍ لنفسه.

2) سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُومِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذَ اَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ اَدْعُهُنَّ يَاتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمَ اَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، والحوار هنا من النوع الأول: بين الله تعالى وأَحَدٍ من خلقه، وتحوِي هذه الآيةُ حوارَ إبراهيمَ عليه السلام مع ربِّهِ عز وجل حينَ أرادَ مُعاينةَ القدرةِ الإلهيةِ على الإحياءِ والإماتةِ مع أنه مؤمنٌ بها، فمنحهُ الله سبحانه وتعالى التجربةَ الذَّاتيةَ المباشِرة، فعاينها إبراهيم عليه السلام بنفسه وأَفْضَتْ بِهِ إلى مرحلةِ عينِ اليقينِ حولَ قُدرةِ ربِّه فَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قدير.

3) سورة الأنعام: من الآية: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[3]، إلى الآية: ﴿ الذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ اُوْلَئِكَ لَهُمُ الاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[4]، الحوار هنا من النوع الثاني: بين مؤمنٍ وكافر، في هذه الآياتِ يقومُ إبراهيمُ عليه السلام مقامَ المحاورةِ والمناظرةِ مع قومِهِ عُبَّادِ الكَواكبِ مُشترطاً عليهم أن يَكُونَ إِلَهُهُمْ حاضِراً لا يَغِيب، وبدأ مُسايرتهم بالكوكبِ ثم بالنَّجمِ ثم بالشَّمس، وفي كُلِّ مرَّةٍ يُبرهِنُ لهم بطلانَ عبادتهم.

---

1) [البقرة-258].
2) [البقرة-260].
3) [الأنعام-75].
4) [الأنعام-82].

3) سورة هـــود: من الآية: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[1] إلى الآية: ﴿ يَآ إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَآ إِنَّهُ قَدْ جَآءَ اَمْرُ رَبِّــكَ وَإِنَّهُمُ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[2]، الحوار هنا من النوع الثالث: بين المؤمنين من الإنس والملائكة، ففي هذه الآيات تنْـــزِلُ الملائكة ضُيوفاً على إبراهيمَ عليه السلام لِتُبَشِّرَهُ بإسحاق وبعَقِبٍ من بعده هو يعقوب، فيتفاجأُ بالبُشْرَى ويهتزُّ كيان زوجته عجباً مما سمعته، بعد ذلك يجادلُ إبراهيمُ عليه السلام الملائكةَ في عذاب قوم لوط فيأتيه الرَّدُّ بأن أمر الله فيهم قد قُضِيَ و لم يعد للجدالِ مجال.

4) سورة الحجر: من الآية: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾[3] إلى الآية: ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[4]، الحوار هنا من النوع الثالث: بين المؤمنينَ من الإنسِ والملائكة، تتضمَّنُ هذه الآياتُ نماذجَ من رحمةِ اللهِ وعذابِهِ، مُمثَّلَةً في قصَّةِ إبراهيمَ وبشارته على الكِبَرِ بغُلامٍ عليم، وعذابِ قومِ لوطٍ ونجاتِه وأهلِه إلاَّ امرأته، والحوارُ هنا يدخل في مجالِ تصديقِ الرَّحمةِ أو العذابِ الذي ينبِئُ اللهُ بهِ عبادَهُ على لسانِ رُسُلِه.

5) سورة مريم: من الآية: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـــابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيئاً ﴾[5] إلى الآية: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[6]، والحوار هنا من النوع الثاني: بين مؤمنٍ وكافرٍ، حيثُ بَدَأَ الخليل عليه السلام دعوَتَهُ إلى الله عز وجل بدعوة أبيه لأنه أقربُ النَّاسِ إليه بغاية اللُّطف والرِّفق معهُ مراعياً أَدَبَ الإِبْنِ مع أبيه، لكنَّ أباه عنَّفَهُ وأَنْكَرَ عليهِ رغْبَتَهُ عن عبادةِ الأصنامِ وهدَّدَهُ بالرَّجْم بالحِجارة وأَمَرَهُ بمُفارقته، عِند ذلك قابله إبراهيم عليه السلام بقوله: " سَلاَمٌ عَلَيْكَ " بِمُنتهى الرِّفق واللِّين، وأَعْلَنَ عن شخصيتِهِ الإسلامية " وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ " وهَكَذَا سَعَى إبراهيم عليه السلام إلى التَّأثير في قومِهِ دُونَ تأَثُّر.

---

1) [هود-69].
2) [هود-76].
3) [الحجر-51].
4) [الحجر-60].
5) [مريم-41].
6) [الحجر-50].

6) سورة الأنبياء: من الآية: ﴿ وَلَقَدَ اتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾[1] إلى الآية: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمُ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَآءَ الزَّكَاةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ ﴾[2]، والحِوارُ هنا من النوع الثاني: بين مؤمنٍ وكافرٍ، يَعْرِضُ القرآنُ الكريمُ في هَذِهِ الآياتِ مشاهدَ لإبراهيمَ عليه السلام مع قَوْمِهِ عُبَّادِ الأصنام، فهو يستنكِرُ الشِّركَ ويُحطِّمُ الأصنام، ثم يصوِّر لنا الحوارَ الذي دَارَ بين إبراهيمَ عليه السلام وقَوْمِهِ حين وَجَدُوا أصنامَهُمْ محطَّمةً إلا كبيراً لهم، فلما فقدوا الحُجَّةَ وأعوزهم الدَّليلُ لجأوا إلى القوةِ الغاشمةِ والعذابِ الغليظِ فقالوا: ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾، ولكنَّ كلمةً أحرَى قد قيلت: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[3] فأبطلتْ كُلَّ قول، وحَفِظَتْ إبراهيمَ عليه السلام من النَّارِ وكيدِ الكائدين.

7) سورة الشعراء: من الآية: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِبْرَاهِيمَ ﴾[4] إلى الآية: ﴿ إِلاَّ مَنَ اَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[5]، والحوار هنا من النوع الثاني: بين مؤمنٍ وكافر، تَعْرِضُ لنا هذه الآيات الكريمة حوار العقيدة، حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه وهو يُرَسِّخُ فيهم قضية التوكُّل على الله سبحانه وتعالى وحده، يذكرهم باليوم الآخر، إنه الأواه الحليم يعرف قومه بِرَبِّهِ عزوجل ويَذْكُرُ لهم صفاتِه وآلاءَه، ويُؤْمَرُ الرَّسولُ محمد صلى الله عليه وسلم أن يتلوَ هذه الأنباءَ على المشركينَ الذينَ يزعمونَ أنَّهم ورثةُ إبراهيمَ عليه السلام وأنهم على دينه القديم.

8) سورة العنكبوت: من الآية: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمُ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[6] إلى الآية: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوءَةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الاَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[7]، والحوار هنا من النوع الثاني:

---

1) [الأنبياء-51].
2) [الأنبياء-73].
3) [الأنبياء-69].
4) [الشعراء-69].
5) [الشعراء-89].
6) [العنكبوت-16].
7) [العنكبوت-27].

الثاني: بين مؤمنٍ وكافرٍ، حيث يدعُو إبراهيمُ عليه السلام قومه إلى الرِّسالةِ الكبرى دعوةً بسيطةً واضحةً لا غموضَ فيها، وهي مُرَتَّـــبَةٌ في عرضِها ترتيباً دقيقاً، ثم يَقِفُ وقفةً يخاطب بها كل مُنْكِرٍ لدعوة الإيمان بالله مُكَذِّبٍ بالرَّجعةِ إلى الله والبعثِ والمآب، فإذا بالطُّغيانِ يُسْفِرُ عن وجههِ الكالحِ و لم يكن إبراهيمُ عليه السلام يملكُ له دفعاً، هنا تتدخَّلُ القدرةُ الإلهيةُ سافرةً كذلك، فينجيه الله عز وجل من النار ثم يُذَكِّرُهُمْ إبراهيمُ عليه السلام بمصيرهم في النَّارِ حيثُ لا نُصْرَةَ لهم ولاَ نجَاة.

9) سورة العنكبوت: في الآيتين: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۞ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّـــيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[1] الحوارُ هنا من النَّوعِ الثَّالث: بين المؤمنينَ من الإنسِ والملائكة، في هذا الموضعِ مَشْهَدُ الملائكةِ مع إبراهيم عليه السلام مختصرٌ لأنه ليسَ مقصُوداً، فذكر الله عز وجل أن مُرُورَهُمْ بإبراهيمَ عليه السلام كانَ للبُشْرَى، ثم أخبروه بمهمتهم الأُولى وهي إهلاكُ قومِ لُوطٍ عليه السلام الملوَّثين، فراح يُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ في هَذِهِ القَرْيَةِ لوطاً وهو صَالح، فَطَمْأَنُوهُ بنجَاتِهِ وأهْلِهِ إلاَّ امْرَأَته.

10) سورة الصَّافات: من الآية: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾[2] إلى الآية: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ ﴾[3]، والحوار هنا من النَّوع الثَّاني: بين مؤمنٍ وكافر، فتَمُرُّ بنا هذه الآياتُ مَرَّةً أُخْرَى على حوارِ إبراهيمَ عليه السلام مع قومِهِ عُبَّادِ الأصنامِ، وتحطيمِهِ لأصنامهم في غيابِهِمْ وإثباتِهِ لِضُعْفِهَا وانعدامِ قُدرتِهَا وسُخْفِ اعتقادهم، لكنَّ عقولَهُمْ لا تستجيبُ لِنِداءِ التَّفَكُّرِ بل يندفعُونَ إلى طغيانهم حينما أحْرَجَتْهُمْ كلمةُ الحقِّ الخَالِصَة، فَيَخْتَصِرُ السِّياقُ ما حَدَثَ بعْدَ ذلك ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الاَسْفَلِينَ ﴾[4]، إنَّ رِعَايةَ اللهِ تُحِيطُ بِعِبَادِهِ الْمُخْلِصِين.

---

1) [العنكبوت-31،32].

2) [الصافات-83].

3) [الصافات-101].

4) [الصافات-98].

11) سورة الصَّافات: من الآية: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[1] إلى الآية: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُومِنِينَ ﴾[2]، الحوارُ هنا من النَّوعِ الثَّالث: بين المؤمنينَ من الإنسِ والملائكة، هذا إبراهيمُ عليه السلام الشيخُ المقطوعُ من الأهلِ والقَرَابة، المهاجرُ من الأرضِ والوَطَن، هَا هُوَ ذا يُرْزَقُ في كِبَرِهِ وهرمه بِغُلَامٍ طالما تطلَّعَ إليه، وها هُوَ ذا ما يَكَادُ يأنسُ به ويبلُغُ معه السَّعْيَ ويُرَافِقُهُ في الحياة، حتى يَرَى في منامِهِ أنه يذبَحُهُ ويُدْرِكُ أنها إشارةٌ من ربِّهِ بالتَّضْحِية، فَيُلَبِّي في رِضًى وطمأنينةٍ ويقينٍ يَبْدُو في كَلِمَاتِهِ لابنه، فيرتقي ابنُه إلى مراتبِ أبيهِ فيتلقَّى الأمرَ بطاعةٍ واستسلامٍ وَرِضًى ويقين، فيمضي إبراهيمُ عليه السلام فيكبُّ ابنَهُ على جبينهِ استعداداً، ولم يكن باقياً إلا أن يذبحَهُ ويسيلَ دَمَهُ وتَزْهَقَ رُوحُه، لكنَّ الامتحانَ قد وَقَعَ والابتلاءَ قَدْ تم، ونتائِجَهُ قد ظَهَرَت، فَيَفْدِي اللهُ هَذِهِ النَّفسَ التي أسْلَمَتْ وأدَّتْ بذِبْحٍ عظيم: ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

12) سورة الذَّاريات: من الآية: ﴿ هَلَ اَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[4] إلى الآية: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الاَلِيمَ ﴾[5]، الحوارُ هنا من النَّوعِ الثَّالث: بين المؤمنين من الإنس والملائكة، فيذكر الله لنا في هذه الآيات مرةً أخرَى حوارَ إبراهيمَ عليه السلام مع الملائكةِ المرسلينَ الذينَ جاؤُوهُ فاستقبلهم - وهو لا يعرِفْهُمْ - مُسَارِعاً إلى أهْلِهِ فجاءَ بعجلٍ سمينٍ فبشَّرُوهُ بِغُلامٍ عليمٍ فتعجَّبْتْ زوجتُهُ فرَدَّهَا المرسلُونَ إلى القُدْرَةِ الإلهيةِ التي لا قيدَ لها، ثم يسألهم إبراهيمُ عليه السلام عن شأنهم فيخبرونهُ بأنَّهُمْ أُرْسِلُوا إلى قومٍ مجرمين هم قومُ لوط عليه السلام لِيُنَفِّذُوا فيهم أمرَ اللهِ بالعذابِ الأليمِ مع إنجاءِ المؤمنينَ وحِمَايتهم.

---

1) [الصافات-101].
2) [الصافات-111].
3) [الصافات-110].
4) [الذاريات-24].
5) [الذاريات-37].

▪ المبحث الثالث: موضوعاتُ الحوارِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن

1) الدَّعوةُ إلى توحيدِ الله بالعبادة: وردت قصصُ إبراهيمَ عليه السلام في القرآنِ متضمنةً الدعوةَ إلى عبادةِ اللهِ وتركِ عبادةِ ما سِوَاه، منتهجاً أسلوبَ الأنبياءِ في ذلكِ فقد استعملَ إبراهيمُ عليه السلام الحُجَّةَ والمنطِقَ في إثباتِ ما يقولهُ وما يدعُو إليه وتفنيدِ شُبَهِ وافتراءاتِ الكافرينَ والمعاندينَ بطريقةٍ توحي إلى السَّامعِ بعقلية فذَّةٍ مُنيرةٍ مُستنيرةٍ بِهُدَى رَبِّها:

ففي سورة الأنعام، استعملَ إبراهيمُ عليه السلام لسانَ العقلِ وصوتَ الحُجَّةِ القويَّةِ التي تُسْكِتُ وتُخْرِسُ الأَلْسِنَةَ حتى يبرهِنَ على وجُودِ ربِّه قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا اِلِهَةً اِنِّيَ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ وَكَذَالِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لآَ أُحِبُّ الاَفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا القَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

فقد أبطلَ عبادتَهُمْ ومعبوداتِهِمْ من خِلالِ النَّظَرِ وتتبُّعِ آلهتهمْ التِي كانُوا يعبدُونَها من دُونِ اللهِ وهي النُّجومُ والقمرُ والشَّمسُ، وهي مشتركةٌ في أنّها تغيبُ فكيفَ لها أَنْ تقومَ بمسايرةِ ومتابعةِ ورعايةِ خَلْقِهَا إذا كانت هي آفلة!؟ فقد سَلَكَ إبراهيمُ عليه السلام صَاحِبُ الحجةِ مسلكاً عقلياً لِيُقْنِعَهُم ويعدِلَهُم عمَّا هُمْ عليه، ويُبَيِّنَ لهم أنَّ الإلهَ الحقَّ هو اللهُ سبحانه وتعالى الذي يستحِقُّ العِبَادَة، فقدَّم لهم في نهايةِ الآيةِ توجُّهَهُ الصَّريحَ والوَاضِح: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَآجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَّشَآءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا اَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمُ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالاَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ الذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾، إنّنا نَشْعُرُ -

ونحنُ نقرأُ هَذِهِ الآيات - أنَّ المشركينَ قد واجَهُوهُ بأسلوبِ التخويفِ من القُوَّةِ التي تَمْلِكُهَا أصنامُهُمْ أو يتمتَّعُ بِهَا شركاؤُهُمْ، فأرادُوا منه أن يَكُفَّ عن أُسلوبِ التَّحَدِّي للأصنامِ وللشُّركاءِ ولعقيدتهم بشكلٍ عام، بحجَّةِ الخوفِ عليهِ مِنَ انتقامِ هؤلاءِ الآلهةِ الذينَ يعتقدُونَ بقُدرتِهِمْ على الإساءةِ لِمَنْ يتحدَّاهُمْ، كما ظَهَرَ من قومِ نوحٍ عند ما قالوا له: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾.

وقد أَمْسَكَ إبراهيمُ هَذِهِ الحجَّةَ لَيَرُدَّهَا عليهِمْ بطريقةٍ أقوَى فهُوَ يوضِّحُ لَهُمْ أوّلاً أنَّ ارتباطَهُ باللهِ لم ينشأْ من حالةِ ضغطٍ نفسيةٍ تتطلَّبُ الأمْنَ في عمليةِ الإيمانِ، بلْ كانتْ حاصِلَةً من الهدايةِ الإلهيةِ التي فَتَحَتْ قلبَهُ وفِكْرَهُ على نُورِ الإيمانِ، فانطلقَ يُلَبِّي نداءَ النُّورِ الذِي انفتحَ بِهِ عَلَى اللهِ، ثُمَّ بَدَأَ معهم حِكايةَ الخَوفِ والأمنِ فهو يُعلنُ لهمْ في بدايةِ الطَّريقِ أنَّه لا يخافُ شُرَكَاءَهُمْ مَهْمَا كانتْ القُوَّةُ التي يَمْلِكُونَها أو يزْعَمُونَهَا لهم، لأنَّ اللهَ خالقُ كُلِّ شيءٍ وهو الذي يَمْلِكُ قوَّةَ كُلَّ شيءٍ فَلاَ يملكُ أيَّ شيءٍ ضَرًّا ولا نَفْعاً إلاَّ باللهِ وبمشيئتهِ التي لا يعلمُها أحد، ثم يوازنُ بين خوفِهِ من الشُّركاءِ الذين يريدُونَ منه أن يَحْذَرَهُمْ فلا يعرِضَ لهم بسوءٍ وبين خوفِهِمْ من اللهِ الذِي يُرِيدُ أن يثيره في نفوسِهِم من خلالِ إشراكهم ما لم يُنَزِّلْ به سلطانا، وينتهِي إلى النتيجةِ الحاسمةِ - بعد أن أثار أمامهم استفهاماً إنكارياً فيمن هو أحقُّ بالأمن - وهي أنَّ بإمكانِ الإنسانِ أن يحمِيَ نفسَهُ من الشركاءِ بقوَّتهِ المستمدةِ من قوَّةِ اللهِ أو بقوَّةِ اللهِ التِي يعتمدُ عليها في حالةِ عجزِهِ عن المقاومة، فَيُحِسُّ بالأمنِ نتيجةَ ذلك، ولكنهم هم المشركونَ كيفَ يستطيعونَ الشُّعورَ بالأمنِ أمامَ غضبِ اللهِ وسطوتهِ الذي لا يثبتُ أمامه شيءٌ مهما كانت قوتُهُ ومهما كانت عَظَمَتُه، ولِهَذَا كانَ نصيبُ المؤمنينَ الذين آمنُوا و لم يلبسُوا إيمانَهُمْ بظلْم، لأنَّ الشُّعورَ بالأمنِ كان وليدَ واقعِ القُوَّةِ المرتَكِزَ عَلَى أساسٍ متين.[1]

وفي سورة مريم وردت مجموعة من الآيات: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيئاً ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَآأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ۞ يَآأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَاتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا ۞ يَآأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ

1) الحوار في القرآن، ص 51، 52.

كَانَ للرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَاأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يَّمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ للشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ اَنتَ عَنَ اِلهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾[1]، تشتملُ على مُحَاوَرَةٍ ومناظرةِ إبراهيمَ عليه السلام (الابن) مع أبيه الكافر، فقد دَعَا إبراهيمُ عليه السلام أقربَ النَّاسِ إليه وهو أَبُوهُ كما فعل النبيُّ محمد ﷺ.

وقد كان الحوارُ يواجه صعوبةً في بدايته لأَنَّهُ حوارُ الإبنِ لأبيهِ في مجتمعٍ يعتبرُ للأبوةِ قداستها وقيمتها الكبيرة التي ترقى إلى درجة الخضوعِ المطلقِ الذي يُلْزِمُ الأبناءَ بأوامرِ الآباء، ولهذا كان إبراهيمُ حذِراً في أسلوبِهِ فلم يلجأْ إلى أيِّ عنصرٍ من عناصرِ الإثارةِ التي تتناولُ الذاتَ بالتجريحِ والتبكيت، بل حاولَ - على العكسِ من ذلك - أن يعطي أسلوبَهُ في الحوارِ جوًّا مشحُوناً بالعاطفةِ التي تجعلُكَ تشعُرُ – وأنت تقرأُ الحوارَ – أنَّ الموقفَ قد يعبِّرُ عن حالةٍ من حالاتِ التوسُّلِ إلى أبيه، تماماً كالحالةِ النفسيةِ التي تعيشُهَا وأنتَ تُخَاطِبُ إنساناً عزيزاً عليكَ عندمَا يكُونُ مُعَرَّضًا للسُّقُوطِ أو للهَلاَكِ فتتحدَّثُ معه بكلِّ هلعٍ ومحبَّةٍ لِتُنْقِذَهُ بأيِّ طريق، وبذلكَ نجدُ في الحِوارِ الذِي نَنْقُلُهُ بساطةَ الفكرةَ ووضوحَهَا في إطار الجوِّ الحميمِ الذي يسودُ الموقف.[2]

ففي بدايةِ كُلِّ آيةٍ وَرَدَ لفظُ " يَا أَبَتِ " أربعَ مرَّاتٍ فقد استعملها كُلَّها لِيُشْعِرَ أَبَاهُ بأَنَّه ابنُه، فالإبْنُ البارُّ يريدُ الخيرَ لكلِّ الناس، فكيفَ بِمَنْ هو أقربُ إليهِ فقد كان حريصاً على تبيانِ الحقِّ والصَّوابِ وتفنيدِ ما يعبُدُهُ أبوه باللُّطفِ واللِّينِ والرِّفق، مُرَاعِيًا آدابَ النصيحةِ وحُسْنَ أدبِ الصَّغيرِ مع الكَبِيرِ فكُلُّهَا نصائح وتوجيهات وإرشاداتٌ لأبيه، ففي الأُولى لم يَعْمِدْ إلى تجريحِهِ أو تسفِيهِه أو الإنقاصِ من قيمَتِهِ بل عَابَ مَعْبُودَهُ الذي لا ينفعُ ولا يضُرُّ ولا يسمعُ ولا يُبْصِر: ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾[3]، وفي الثَّانية نَصَحَهُ بأن يتبَعَهُ وينهجَ نهجَهُ لكي ينجُوَ من الهَلاكِ فصرَّحَ بِلَفْظِ "جاءني" فهذا لطفٌ وأدبٌ في الكلام، فلم يكُنْ مفاخِرًا

1) [مريم-41،48].
2) الحوار في القرآن، ص 252.
3) [مريم-42].

أو أصابه البَطَرُ بأنَّ ذلكَ العلمَ من عندِهِ أو حصَّلَهُ بقوتِهِ، ومن جهَةٍ أخرَى لم يصِفْ أباهُ بالجهلِ: ﴿ يَآأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَاتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا ﴾[1]، أمّا في الثَّالثةِ والرَّابعةِ بيّنَ الابنُ إبراهيمُ عليه السلام لأبيهِ أنَّ العبادةَ التي يعبُدُهَا هي عبادةُ الشيطانِ والشيطانُ عاصٍ لربِّه، إذاً فأنْتَ عاصٍ لِرَبِّكَ إذا بقيتَ على هذهِ الحالِ لأنَّ الآمِرَ لك بها سيكُونُ الشَّيطان، وحذَّرهُ ورهَّبهُ مِنْ أن يبقَى على ضلالِه فيصيبَهُ عذابٌ من عندِ الله فَهُوَ متخوِّفٌ من سُوءِ العَاقبةِ التي يَلْقَاهَا من جرَّاءِ عَمَلِه: ﴿ يَآأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝ يَآأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يَّمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[2].

بعد هذه التوجيهاتِ والنصائحِ من الابنِ جاءَ ردُّ الأبِ عنيفاً، رَدٌّ يَدُلُّ على شخصيةِ الأبِ الجاهلةِ بأدبِ المحاورةِ واللِّينِ وكافرةً بما جاءَ بِهِ ابنُهُ فلم ينادِهِ بابْنِهِ وناداهُ باسمِهِ وأنْكَرَ عليْهِ أنَّهُ راغِبٌ عن عبادةِ الأصنامِ وهدَّدَهُ بالرَّجْمِ وأمَرَهُ بأَنْ يفارِقَهُ ويبتعِدَ عَنْهُ ويَهْجُرَهُ: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ اَنتَ عَنَ -الِهَتِي يَآإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[3]، فجاءَ ردُّ الابنِ البارِّ لطيفاً جميلاً فلم يرُدّ الصَّاعَ بِصَاعَيْن ولم يواجِهْ أباهُ كما واجَهَهُ بَلْ كَانَ جَوَابُهُ سَلِسًا: ﴿ قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[4]، وبعد أن اتَّضَحَتْ له شخصيةُ أبيه الكَافرةُ المعاندةُ المكابرةُ التي لاَ تستجيبُ لِنداءِ الحقِّ ولا تنقادُ له، بَانَتْ شخصيةُ إبراهيمَ عليه السلام المتواضعةُ التي لا ترضَى بالذُّلِّ والانصياعِ أمامَ شهواتِ وغرائزِ الكافرينَ من قومه: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾[5].

أمّا في سورة الأنبياء فبعد أن آتاهُ اللهُ رشدَهُ سأل عليه السلام أباهُ وقومَهُ عن التماثيلِ التي يعبدونها من دون الله وانعكافهم عليها وتعلقهم بها، فكان جوابُهم كحالِ الأقوامِ الأخرى فقد وجدوا آباءهم على ذلك، وهذا جوابٌ يدلُّ على التحجُّرِ العقليِّ والفكريِّ والنفسيِّ داخلَ قوالبِ التّقليدِ

1) [مريم-43].
2) [مريم-44،45].
3) [مريم-46].
4) [مريم-47].
5) [مريم-48].

الميّتة، فأطلقَ إبراهيمُ عليه السلام حُكْمَهُ عليهم وعلى آبائهم أنّهم في ضلال مبين، وبعد أن واجههم بهذا المنطقِ الفذِّ سألوُه أهو قد جاء بالحقِّ أم هو من اللاَّعبين؟، فيبينُ إبراهيم عليه السلام موقِفَهُ الواضحَ والجليَّ أنَّ ربكم هو ربُّ السَّمواتِ والأرضِ، هو خلقكم وهو الذي يستحقُّ العبادةَ لا غير، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدَ اتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ التِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمُ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمَ انتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ ۞ قَـالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ الذِي فَطَرَهُنَّ وأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1]، ولكي يقيمَ الحُجَّةَ عليهم ويبيِّنَ زيفَ ما يعبدونَ عزمَ على تحطيمِ أصنامهم فحوَّلَ آلهتَهُم إلى قطعٍ صغيرةٍ من الحجارةِ وتركَ كبيرَهُم لكي يرجعُوا إليه ويسألُوه عن الواقعةِ، وإذا كانت هَذِهِ الآلهةُ تنفعُ وتضرُّ فلِمَاذَا لم تدافِعْ عن نفسِهَا، فَفِعْلُهُ عليه السلام في منتهى إقامةِ الحُجَّةِ وإزالةِ الأعذارِ، فهو بهذا العملِ يريدُ من القومِ أن يستعملُوا عقولهم في ما هم عليه من الخطأِ والضَّلالِ: ﴿ وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا اِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَذَا بِئَالِهَتِنَآ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُواْ فَاتُواْ بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُواْ ءَآنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِئَالِهَتِنَا يَآ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُمُ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُواْ إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُواْ إِنَّكُمُ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُمُ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[2]، لكنَّ القومَ بانَتْ نيَّاتُهم وظَهَرَتْ سرائِرُهُم، فهم لا يريدُونَ الانصياعَ لأَمْرِ إبراهيمَ واتِّباعِه رَغْمَ ما استعملَ من طُرُقٍ ووسائلَ في كَشْفِ زيفِ آلهتهمْ وما يَعْبُدُون، وتبيانِ ما هم عليه من الخطأِ فأرادُوا به كيدًا فنجَّاه الله وحفِظَهُ من كيدهم: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانصُرُواْ ءَالِهَتَكُمُ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الاَخْسَرِينَ ۞ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا اِلَى الاَرْضِ التِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾[3].

---

1) [الأنبياء-51،56].

2) [الأنبياء-57،67].

3) [الأنبياء-68،71].

وفي سورةِ الشُّعراءِ وردتِ المحاوَرَةُ والمُناظَرَةُ التي وردتْ في سورةِ الأنبياءِ لكنَّهَا تختلِفُ في نهايتها، فقد بدأت بسُؤَالِ إبراهيمَ عليه السلام لقومِهِ عن ماذا يعبدُون؟ فأجابُوهُ بأنَّهم يعبدونَ أصنامًا، فقد أقرُّوا بأنَّهم يعبدُونَ أصنامًا منحوتةً من الحجرِ لا آلهةً وأنَّهُم مع ذَلِكَ يعكفونَ على عبادتها، ثم يعمدُ إلى إثارةِ عقولهم الميِّتةِ وينبِّهها بما يشبهُ الصَّعْقَ بسؤالِهِ: هل ينفعُونَكُم أو يسمعُونَ إليكُمْ أو يضُرُّون؟ فنرى بأنَّهم لم يجيبُوهُ عن سُؤَالِه إنما أجابُوهُ بجوابٍ ينبئُ عن مدَى التَّحجُّرِ الذِي يصيبُ المقلدِّينَ بلا وعيٍ ولا تفكير، فقد وجدُوا آباءهُم يعكفُونَ عليها فعكفُوا عليها وعَبَدُوها، ثم أعلنها إبراهيم عليه السلام صراحـــةً بأنَّه عدوٌّ لتلكَ الأصنامِ ولتلكَ العقيدةِ الفَاسِدَةِ التِي وَرِثُـــوهَا عن آبائِهم: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَالِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الاَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

ثم يأخُذُ إبراهيم عليه السلام في صِفَةِ ربِّه ربِّ العالمينَ وصِلَتِهِ به فِي كلِّ حالٍ وفي كلِّ حين، فَنُحِسُّ القُربى بالوثيقةِ والصِّلةِ النديَّة والشُّعورِ بِيَدِ اللهِ في كُلِّ حركةٍ وسكون، وفي كُلِّ حاجةٍ وغاية: ﴿ الذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالذِي أَطْمَعُ أَنْ يَّغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾[2]، ونستشعِرُ من صفةِ إبراهيمَ عليه السلام لربِّهِ واسترسالِهِ في تصويرِ صلتِهِ به أنَّهُ يعيشُ بِكَيَانِهِ كُلِّه مع ربّه وأنّهُ يتطلَّعُ إليهِ في ثقةٍ ويتوجَّهُ إليه في حُبٍّ، وأنّه يصِفُهُ كأنَّه يراهُ ويُحِسُّ وقعَ إنعامِهِ وإفضالِهِ عليهِ بقلبهِ ومشاعرهِ وجوارحه، والنغمةُ الرَّخيَّةُ في حكايةِ قوله في القرآنِ تُسَاعِدُ على إشاعةِ هذا الجوِّ وإلقاءِ هذَا الظِلِّ بالإيقاعِ العذبِ الرَّخِيِّ اللَّيِّنِ المديد.[3]

---

1) [الشعراء-69،77].

2) [الشعراء-78،82].

3) في ظلال القرآن، ج 5، ص 2603.

وفي سورةِ العنكبوت دعاهم عليه السلام دعوةً بسيطةً واضحةً لا تعقيدَ فيها ولا غموض، فقد بدأ ببيان حقيقةِ الدَّعوةِ التي يدعُوهُمْ إليها قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾[1]، ثم أردف قولَهُ بتحبيبِ هذه الحقيقةِ لهم قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، ثم بيَّنَ لهم ما هم عليهِ من فسادٍ للعقيدةِ: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾[3]، ثم وجَّهَهُمْ إلى ابتغاءِ الرِّزقِ من الرزَّاقِ فهو المتفضِّلُ المَّنانُ على عبادِهِ فَيُجازِي عبادَهُ الشَّاكرينَ الطائعينَ بالأجرِ والثوابِ الكثيرِ والمغفرةِ يوم القيامة: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[4].

فإن كذَّبوا فقد نَهَجُوا منهج السَّابقين في تكذِيبِ رُسُلِهم، وعلى الرَّسُـــولِ واجبُ التبليغ: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾[5].

ثم يقفُ وقفةَ متأملٍ سائِـــلاً كُلَّ منكرٍ لدعـــوةِ الإيمانِ باللهِ مُكَذِّبٍ بالبعثِ والمآبِ إلى الله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[6].

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الاَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الاَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَّشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الاَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ۞ وَالذِينَ كَفَرُوا بِئَايَاتِ اللَّهِ وَلِقَآئِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴾[7]، الكونُ كُلُّهُ طريقٌ لمعرفةِ اللهِ وإثباتِ وجُودِهِ ووحدانيتِهِ، وصفحةٌ مفتوحةٌ للحواسِّ والقلوب، كي تَرى فيها دلائلَ وجُودِهِ وعظمتِهِ.

---

1) [العنكبوت-16].
2) [العنكبوت-16].
3) [العنكبوت-17].
4) [العنكبوت-17].
5) [العنكبوت-18].
6) [العنكبوت-19].
7) [العنكبوت-20،23].

بعدَ هذا الخِطَابِ يعُودُ بنا السِّياقُ القرآنيُّ لبيانِ جوابِ ورَدَّةِ فعلِ قومِ إبراهيمَ عليه السلام فجوابُهُمْ يبدو غريباً عجيباً خارجاً عمَّا كان يدعُو إليهِ ومبيّناً وفاضحاً لرغبةِ القومِ إلى عدمِ أخذِ الموعظةِ والانتفاعِ بِهَا والاستسلامِ لأمرِ الله، جوابٌ يكشِفُ عن تبجُّحِ الكفرِ والطُّغيانِ فلم ينتهِ الأمرُ عندَ العنادِ والمكابرةِ بل جَاوَزَهُ إلى التَّنكيلِ والكَيْدِ فعزمُوا على قتله، لكنَّ الله نجَّى نبيَّهُ: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴾[1].

وبعد انكشافِ أمْرِهِمْ ومقْصَدِهِم ويأسِ إبراهيمَ من إيمانِ القومِ، وَاجَهَهُمْ بحقيقةٍ لا مفرَّ منها: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[2].

وفي سورة الصَّافاتِ بدأ السّياقُ بذكر سلامةِ وصفاءِ قلبِ إبراهيمَ عليه السلام وصِحَّةِ عقيدته ومتانتها وخُلوص ضميره، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[3].

﴾[3].

ثم التفتَ إلى أبيه وقومِهِ فسألَهُمْ عن عبادتهم وهو مستنكرٌ لما يفعلونَهُ: ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4].

قال تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۞ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۞ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلاَ تَاكُلُونَ ۞ مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبَاً بِالْيَمِينِ ﴾[5]، يُرْوَى أَنَّهُ أَنَّهُ كان للقومِ عيدٌ يخرجُون فيه إلى الحدائقِ بعد أن يَضَعُوا الثِّمارَ بين أَيْدِي آلهتهم لِتُبَارِكَهَا، ثم يعودون بعد الفُسحة والمرح ليأخذوا طعامهم المبارك، وبعد أن يَئِسَ إبراهيمُ عليه السلام من استجابتهم له، اعتزم على تنفيذِ أمرٍ في الوقتِ الذي يبتعِدُونَ فيه عن مَعَابِدِهِم وأَصْنَامِهِم، فلما دُعِيَ عليه السلام إلى

1) [العنكبوت-24].
2) [العنكبوت-25].
3) [الصافات-83،84].
4) [الصافات-85،87].
5) [الصافات-88،93].

ذلكَ قَلَّبَ نَظَرَهُ في السماء، ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۞ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ أي لا طاقةَ لي بالخروجِ إلى الحدائقِ فإنّما يخرُجُ إليها طُلاَّبُ اللَّذة والمتاع، قال ذلك معبِّرًا عن ضَيْقِهِ وتعبه ليترُكُوهُ وشأْنَه، فلمّا علم القومُ بحالِهِ تعجَّلُوا بالرَّحيلِ لارتباطهم بتقاليدِهِم، فوجد إبراهيمُ عليه السلام الفُرْصَةَ حانت لتنفيذِ أمره وهرَعَ إلى آلهتهم المزعومة وأمامها صنوفٌ من الأطعمةِ ذات الألوانِ والأذواقِ المختلفةِ فقال لها في تهكم: ﴿ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلاَ تَاكُلُونَ ﴾ فلم يلْقَ جوابًا فواصلَ في تهكُّمِهِ قائلا: ﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ ﴾ فلم يلقَ جوابًا مرَّةً أخرى فعبَّر عن غيظه وضَجَرِهِ بأن جعلها جُذاذاً: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبَاً بِالْيَمِينِ ﴾، ثم ينتقِلُ السِّياقُ القرآنيُّ إلى حالةِ قومه بعد رجوعهم من الاحتفال: ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾[1]، أَقْبَلُوا بِخُطًى مُتسارِعَةٍ نحو إبراهيمَ عليه السلام مدهُوشِينَ مرعُوبينَ من هَوْلِ ما حدث لآلهتهم، وتلكَ جموعٌ هائجةٌ ثارت ثائِرَتُهَا، وذلك فردٌ مؤمنٌ مطمئنٌّ صابرٌ هادئٌ محتسبٌ أمرَهُ إلى الله: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2]، ما هذا المنطِقُ والتوجُّهُ السَّاذجُ في العبادة؟ أَتَتْرُكُونَ عبادةَ اللهِ الإلهِ الحقِّ الذي يستحقُّ العبادة، وتعبدُونَ ما تصنعُونَ بِأَيْدِيكُم، فَعُقُولُهُمْ مريضةٌ تأبى أن تسمعَ وتُذْعِنَ للحقِّ وتنقادَ لهُ، فلجأتْ إلى قُوَّةِ الحديدِ والنَّارِ التي لا يَعْرِفُ الطُّغَاةُ سبيلاً إلاَّ إليهَا لردعِ من خالفهم عندما تَعُوزُهُم الحُجَّةُ وينقصهم الدَّليل، فيتحقَّقُ وعدُ الله لعبادِهِ الصَّالحينَ الطائعينَ ووعيدُهُ للمكذِّبينَ: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۞ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الاَسْفَلِينَ ﴾[3].

وفي سورة البقرة قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنَ اتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾[4]، إنَّ الملكَ الذي حاجَّ إبراهيمَ عليه السلام في ربِّهِ لم يكن مُنْكَراً لِوُجُودِ اللهِ أصلاً، إنّما كانَ مُنْكِراً لوحدانيةِ اللهِ في الألوهيةِ والربوبيةِ ولتصريفهِ للكونِ وتدبيرِهِ لما يجري فيه وحده، فهذا الملكُ المتعنِّتُ إنَّما ينكِرُ ويتعنَّتُ للسَّببِ الذي كان ينبغي من أجله أن يشكر: ﴿ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ وجعل في يده السُّلطان فكان ينبغِي عليهِ أن يعترفَ ويشكر، فها هو ذا يضعُ الكفرَ موضع الشكر.

---

1) [الصافات-94].
2) [الصافات-95،96].
3) [الصافات-97،98].
4) [البقرة-258].

قال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾[1]، فنحن لا نعرفُ ولا ندركُ مكنوناتِ الحياةِ والموت، ولكن ندركُ مظاهرهما في الأحياءِ والأموات، ويجبُ أن نَكِلَ مصدرهما إلى الله تعالى وَحْدَهُ دون أحدٍ من خلقه، فقد عرَّفَ إبراهيمُ عليه السلام ربَّهُ بالصِّفةِ التي لا يمكنُ أن يشاركَهُ فيها أحدٌ فضلاً عن أن يزعَمَ ذلك، فأجابه الملك: ﴿ قَالَ أَنَآ أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾[2]، فإبراهيمُ لم يُرِدْ أن يسترسلَ في جدالٍ مع رجلٍ يماري ويداري ربَّهُ في تلك الحقيقة، فَعَدَلَ عن هذه السُّنَّةِ الكونيةِ الخفيةِ إلى سنةٍ أخرى، سُنَّةٍ ظاهرةٍ مرئية، وعَدَلَ عن طريقةِ العرْضِ إلى طريقةِ التحدِّي وطلبَ منهُ تغييرَ سُنَّةٍ إلهيةٍ ليثبتَ له أنَّ اللهَ ليسَ حَاكِمَ قومٍ في ركنٍ من الأرضِ إنَّما هو مصرِّفُ هذا الكونِ كلِّهِ، ولم يترك إبراهيمُ له الفرصةَ الذهبيةَ التي يأخُذُ بها زهوَ طغيانه وتمرُّدِهِ، فتحدَّاهُ بالظَّواهرِ الكونيةِ الثابتةِ التي خلقها الله في الكونِ وطلب منه تغييرَهَا إذا كان إلهاً حقًّا، وقدَّمَ له عرضًا بالشَّمسِ التي خلقها لِتُشرقَ من جهة المشرقِ وطلب منه أن يحوِّلَ طُلُوعَهَا إلى جهة المغرب.[3]

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَاتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾[4] فقد تحدَّاهُ بظاهرةٍ كونيةٍ مشاهَدةٍ تُعرفُ بالحدس دون معرفة أدنى شيءٍ في الفلكِ ونظرياته فتَحَدِّي إبراهيم عليه السلام يُخاطِبُ الفطرةَ فتجلَّى الأمرُ للواقع: ﴿ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ ﴾[5]، فالتَّحدِّي ظاهرٌ وبارز، فكان أولى منه التَّسليم ولكنَّ الكِبْرَ أَعْمَاهُ عن اتّباعِ الحقِّ فاللهُ لا يهديه إلى الحقِّ لأنّه لم يَلْتَمِس الهدايةَ ولم يَرْغَبْ في الحقِّ: ﴿ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[6].

---

1) [البقرة-258].
2) [البقرة-258].
3) الحوار في القرآن، ص 63.
4) [البقرة-258].
5) [البقرة-258].
6) [البقرة-258].

2) تنفيذُ الابتلاءِ الموجَّهِ إليهِ من ربِّهِ بذبحِ ابنه إسماعيل: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾[1]، بعد أن هَجَرَ إبراهيمُ عليه السلام أَبَاهُ وقومَهُ واتَّجَهَ إلى خالقه وتقطَّعَتْ به سُبُلُ المودَّةِ والصِّلةِ والقربى، راح يدعُو ربَّهُ أن يرزُقَهُ الذُّريةَ الصَّالحةَ الطيّبةَ فاستجابَ اللهُ دعاءَهُ ورزَقَهُ بغلامٍ صالحٍ وامتحنهُمَا اللهُ بامتحانٍ وقَّعَ ربَّ العالمين على تخليدِهِ إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، فما إن رضيَ إبراهيم عليه السلام به وبلغ معه السَّعْيَ وقرَّت عينُهُ به وأخذَ يُعِينُهُ على دروبِ الحياة، حتى رأى في منامِه أنَّه يذبَحُه فأدركَ أنَّها إشارةٌ من ربِّه بالتَّضحية، فتقبَّلَ الأمرَ بِصَدْرٍ رحبٍ وقلبٍ مؤمنٍ مطمئنٍ فَهُوَ لم يتردَّدْ و لم يخالِجْهُ إلاَّ شُعُورُ الطَّاعةِ و لم يخطُرْ له إلاَّ خاطرُ التسليم، فلم يُلَبِّي في انزعاجٍ و لم يستسلِمْ في جزعٍ و لم يُطِعْ في اضطراب، كُلُّ ذلك يظهرُ في كلماته لابنه عندما عَرَضَ عليه الأمرَ الهائلَ في هدوءٍ واطمئنانٍ عجيب: ﴿ قَالَ يَابُنَيِّ إِنِّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيَ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾[2]، خطابٌ يبيِّنُ أنّ صاحبَهُ مطمئنٌّ وراض، أمرٌ يقتضِي أن يتولَّى هو بنفسه ذَبْحَ ولدِهِ، فلم يأخذْ ابنَه على غِرَّة وإنَّما عرض عليه الأمرَ كالذي يعرِضُ المألوفَ من الأمر، فاللهُ يريدُ هكذا وعلى الابن أن يقبلَ به طاعةً وخضوعاً لا قهرًا واضطرارًا لينالاَ الأجرَ معًا، فجوابُ الابنِ متوافقٌ مع وصفِ اللهِ له بالحليمِ كما وصفَ أباهُ بالحليمِ في موضعٍ آخرَ من الكتابِ العزيز، فالولَدُ ارتقى مُرتقى أبيه في تطبيقِ وتنفيذِ أوامرِ اللهِ كما جاءت دون تردُّدٍ أو استفسار: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُومَرُ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[3].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[4]، لقد أسْلَمَا إلى اللهِ في ثقةٍ وطمأنينةٍ وَرِضًى وتسليم، فإبراهيمُ عليه السلام وإسماعيلُ عليه السلام قد أدَّيَا ما أُمِرَا به وكانا قد حقَّقَا الأمْرَ الذي كُلِّفا به و لم يكُنْ باقيًا إلاَّ أن يذبحَ ابنه ويُرِيقَ دمه، ولكنَّ الامتحانَ والابتلاءَ قد وقعَ وظَهَرَتْ نتائِجُهُ وغايته و لم يبق إلاَّ الألَمُ البدنيُّ واللهُ لا يريدُ أن يعذِّبَ عبادَهُ بالابتلاءِ ولا يريدُ دماءَهُمْ وأجسامَهُم، ومتى أَخلَصُوا له واستعدُّوا لأداءِ أمره وتحقيقِ التكليفِ فقد نجحُوا في الامتحان، فالله قد عرف من

---

1) [الصافات-100،102].

2) [الصافات-102].

3) [الصافات-102].

4) [الصافات-103].

إبراهيم عليه السلام وابنه عليه السلام صِدْقَهُمَا وخُلُوصَ نيتهما لله وحدَهُ دون شائبةٍ تشوبها: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَّا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَآ إِنَّا كَذَالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَؤُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، فيا إبراهيمُ قد صدَّقْتَ الرُّؤيا وأذعنتَ واستسلمتَ لأمرِ اللهِ، فَأفْدَى اللهُ عن النَّفْسِ التي أسلمتْ بذبحٍ عَظِيم.

ثم يمضي السِّياقُ القرآنيُّ في ذِكْرِ جزاءِ اللهِ لإبراهيمَ عليه السلام جرَّاءَ خضوعِهِ واستسلامِهِ لأمرِ اللهِ وتطبيقِ أمرِهِ بنفسٍ راضيةٍ مطمئنةٍ تعرِفُ قَدْرَ ربِّها فَعَبَدَتْهُ حقَّ العبادة: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الاَخِرِينَ ۞ سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُومِنِينَ ۞ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيئًا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾[2].

3) إثباتُ البعثِ والنشور: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُومِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[3]، لقد كان ينشُدُ اطمئنانَ الإنسِ إلى رؤيةِ سِرِّ الصَّنعةِ الإلهيةِ والتذوُّقِ للسرِّ الخافِي وهو يتجلَّى ويتكشَّفُ أمامه مع علمِ المولى عزَّ وجلَّ بإيمانِ عبْدِهِ وقوَّةِ يقينه، فطلبُ إبراهيمَ عليه السلام لاَ يتعلَّقُ بوجودِ الإيمانِ وثباتِهِ وكمالِهِ واستقرارِهِ وليسَ طَلَبًا للبرهانِ أو تقويةً للإيمانِ إنَّما هو شيْءٌ آخر، إنّه أمرُ الشَّوقِ الرُّوحي إلى ملابسةِ السِّرِّ الإلهيِّ أثناءَ وقوعِهِ العمليِّ ليحصُلَ على مذاقِ هذه الملابسةِ فيسترْوِحُ بها ويتنفس في جوِّهَا ويعيشُ معها.

ولقد استجابَ اللهُ لهذا الشَّوقِ المتدفِّقِ من ثنايا قَلْبِ خليلِهِ ومَنَحَهُ التَّجْـــربةَ الذاتيةَ المباشرةَ: ﴿ قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَاتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمَ اَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4]، فقد رأى إبراهيم عليه السلام السِّرَّ الإلهيَّ ماثِلاً أمامه بعد أن أمرَهُ اللهُ بأن يأخُذَ أربعةً من الطير وأن يذبحهنَّ ويمزِّق أجسادهنَّ ويفرِّقهنَّ على الجبال، ثمَّ يدعوهنَّ

---

1) [الصافات-104،107].

2) [الصافات-108،113].

3) [البقرة-260].

4) [البقرة-260].

فتتجمَّعُ أجزاءهنَّ وتعودُ إليهنَّ الحياة ويأتينَ إليهِ ساعيات، هذا السِّرُّ الذي يعلُو إدراكُه على التَّكوينِ البشريِّ، إنَّه الشَّأْنُ الخاصُّ للخالقِ الذي لا تتطاولُ إليه أعناقُ المخلوقين.

4) التذكيرُ بعَظَمَةِ الله وقُدْرَتِهِ وقُوَّته: قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾[1] السِّياقُ هنا لا يُفْصِحُ عن هذه البُشْرَى، وقد أفصحَ عنها في سورة الحجرِ قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[2] وفي الذّاريات قال ﷻ: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[3]، أمّا عن هوية المبشِّرِ فقد كانت في سورة هود بلفظ ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ ﴾، أمّا في سورتي الحجر والذاريات فقد كانت بلفظ الضَّيف: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾[4]، ﴿ هَلَ اَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾[5]، ويظهرُ كَرَمُ إبراهيمَ وسخاؤُهُ واضحاً جليًّا فما يكادُ ضيفُهُ يدخلُون عليهِ ويقولون سلامًا ويردُّ عليهم السَّلامَ حتى يهرع إلى أهله مسارعًا فيهيئ لهم الطعام قال تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾[6]، وتركَ السِّياقُ لفظَ الأهلِ في سورة هود: هود: ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾، والعجلُ وُصِفَ بالحنيذِ في هود: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾، وبالسَّمينِ في سورة الذاريات قال تعالى: ﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾[7].

وفي سورةِ الحِجْرِ لم يذكُرِ المولَى ﷻ أشياءً كان قد ذكَرَهَا في سورتي هود والذاريات، مثل إكرام إبراهيم لضيفه وحذَف رَدَّ التحيةَ من إبراهيمَ لضيفه، وإن كان موضوعُ آياتِ سورةِ الحِجْرِ تتعلق بشيء آخر، ذلك أنَّ المجال فيها مجالُ تصديق الرحمة التي ينبئ الله بها عباده على لسانِ رُسُلِهِ لا مجال تفصيلاتٍ لقصةِ إبراهيمَ عليه السلام وهكذا عجَّلُوا له بالبُشْرَى وعجَّل بها السِّياقُ دون تفصيل.

---

1) [هود-69].
2) [الحجر-53].
3) [الذاريات-28].
4) [الحجر-51].
5) [الذاريات -24].
6) [الذاريات-25،26].
7) [الذاريات-26].

ولكنَّ رُسُلَ الله إلى إبراهيمَ عليه السلام لاَ يأكلونَ طعامَ أهلِ الأرضِ فأنكر منهم ذلك وأوجس خيفةً منهم، كما عبَّرَ بذلك المولَى عز وجل فالذي لا يأكل الطعـــامَ يُريبُ ويُشْعِرُ بأنَّه ينـــوِي خيانةً أو غَدْرًا: ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾[1] فالسِّياقُ هنا يقتضِي أن يكونَ إبراهيمُ عليه السلام قد أنْكَرَ فِعْلَهُم وأوْجَسَ خيفةً منهم في نفسِهِ أوَّلاً ثم بعد ذلك سَأَلَهُم كما عبَّر المولى عز وجل في سورة الذاريات: ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَاكُلُونَ ۞ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾[2] ونَجِدُ خوفَ إبراهيمَ عليه السلام منهم في سورة الحجر قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾[3] ثمّ بعد ذلك طمأنوه وهدَّؤُوهُ: ﴿ قَالُوا لاَ تَخَفْ ﴾[4] في سورتي هود والذّاريات، أمَّا في سورةِ الحجر بقولهم ﴿ قَالُوا لاَ تَوْجَلْ ﴾[5]، وبعد أن طمْأنُوه وهدَّؤُوه بشَّرُوهُ في سورتي الحِجْر والذّاريات: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ ﴾[6]، ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ ﴾[7] أمّا في سورةِ هود فقد بيَّنُوا له مَغْزَى مجيئِهُم بقوله تعالى: ﴿ اِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [8]. قال تعالى في سورة هود: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ ﴾[9] فامرأةُ إبراهيمَ عليه السلام ضَحِكَتْ من تبشيرِ الملائكةِ لإبراهيمَ عليه السلام بغلامٍ وكان ضَحِكُهَا ضَحِكَ تعجُّبٍ واستبعاد.[10]

وقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَآءِ اِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴾[11] ففاجأها البُشْرَى بأن تلد، وبُشْرَاهَا مضاعفةٌ لَمَّا علِمَت أنَّ إسحاقَ سوف يكون له عَقِبٌ من بعده وهو يعقوب، أمَّا في سورة الذاريات فقد حُذِفَتْ البشارةُ وجِيءَ بقولها فالبشارةُ هنا لإبراهيمَ عليه السلام والملائكةُ يخاطبون

1) [هود-70].
2) [الذاريات-27،28].
3) [الحجر-52].
4) [الذاريات-28]. [هود-70].
5) [الحجر-53].
6) [الحجر-53].
7) [الذاريات-28].
8) [هود -70].
9) [هود-71].
10) التحرير والتنوير ج 12، ص 119.
11) [هود-71].

إبراهيمَ عليه السلام فهي سَمِعَتْ بالبُشْرَى فبُغِتَتْ وفُوجِئَتْ فتعالتْ منها صيحةُ الدَّهشةِ وضربت خدَّيْها بِكَفَّيْها: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[1].

كما نَجدُ الخِطابَ والحوارَ في سورةِ الحِجْرِ دائِراً بين إبراهيمَ عليه السلام والرُّسل، فتعجَّبَ بالبُشْرَى ووجَّهَ إلى الرُّسلِ سؤالاً: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[2]، فاستبعد إبراهيمُ عليه السلام في أوَّلِ الأمرِ أن يُرزق بولدٍ وقد مسَّهُ الكِبَرُ وزوجَتُهُ عقيمٌ كما وَرَدَ في موضعٍ آخر، فأجابَ الرُّسلُ: ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾[3]، فأجابهم عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمَنْ يَّقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ﴾[4].

اهتزَّ كيانها لمثل هذه البشرى فعبّر المولى عزّ وجلّ عن تعجُّبِهَا واستغرابها في سورة هود: ﴿ قَالَتْ يَاوَيْلَتَى ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا اِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[5]، فنجدها في سورة الذاريات قد أخذت منها مبلغاً عظيماً فلم تكن تتوقَّعُها لكنَّها نسيت أنَّ البشرى تحمِلُها الملائكة، عندئذٍ ردَّهَا المرسَلُونَ إلى الحقيقةِ الأولى حقيقةِ القدرةِ الإلهيةِ التي لا يقيِّدُهَا ولا يَحُدُّهَا شيء، وهي التي تُدبِّرُ كُلَّ أمرٍ بحكمةٍ وعلم: ﴿ قَالُوا كَذَالِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾[6] أمّا في سورة هود هود فقد عبّر المولى عزّ وجلّ عن حالتها بأنّها متعجبةٌ من أمرِ هذه البشرى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنَ اَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمُ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[7].

إلى هنا يكونُ إبراهيمُ عليه السلام قد اطمَأَنَّ إلى رُسُلِ ربِّهِ وسكن قلْبُهُ وثابَتْ نفْسُهُ وفَرِحَ بالبُشْرَى التي بشَّرُوه بِهَا هُوَ وامْرأته.

---

1) [الذاريات-29].
2) [الحجر-54].
3) [الحجر-55].
4) [الحجر-56].
5) [هود-72].
6) [الذاريات-30].
7) [هود-73].

▪ الفصل الثاني: منهجُ إبراهيم عليه السلام في حِواراتِه في القرآن وثمراتُه

• المبحث الأول: أساليبُ الحوارِ في قصصِ إبراهيم عليه السلام في القرآن

من المعلومِ أَنَّ للحوارِ أساليبَ عديدة، اِسْتُخْدِمَ كثيرٌ منها في القرآن الكريم منها: الاستدلالُ، والوعظُ والتذكيرُ والترغيبُ، والتَّحدِّي والإفحامُ وإقامةُ الحُجَّة، والتَّدرُّجُ والبدءُ بالأهَمّ، وتوقُّعُ المخالفةِ برغمِ الإقناع، وتقديرُ الخَصْمِ واحْتِرَامُه، والسُّؤال والاستفهامُ بأغراضِه المختلفة، ونحوها.

والحوارُ القرآنيُّ في قصة إبراهيم عليه السلام تضَمَّنَ بعضاً من تلك الأساليب، وبيانُها فيما يلي:

1) الاستدلالُ: والمقصود به إيرادُ الأدلّة الصَّحيحة والواضحة والحُجج الدَّامغة لبيانِ الحق وتفنيدِ شبهات الباطل، وكذا المطالبةُ بإثبات الدَّعوى بالدَّليل والبرهان، وهو أصلٌ مهمٌّ لِنَجَاحِ الحِوَار، وأوَّل ماينبغي استحضارُهُ والعِنَايَةُ به، وهو من مقتضياتِ العلم، فإن الإقناعَ لابُدَّ أن يكُونَ بالحُجَّةِ والبُرْهَانِ لا بمجرَّدِ الكَلاَم، والردُّ من غير دليل بمنـــزلةِ هدم العلم بالشَّكِّ المجرَّد، وسوْقُ الحقائقِ المجرَّدةِ أقلُّ تأثيراً في النُّفُوسِ من سَوْقِهَا مُدعمةً بالشَّواهدِ المُعتمدة، سواءً من الكتاب أو السُّنة أو أقوال الصَّحابة والأئمة والعلماء أو غيرهم.

فنبينا إبراهيم عليه السلام قدَّم دعوته وبادر بطرح ما معه من البيناتِ والحُجَجِ والدلائل، فقال لأبيه حين دعوته: ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾[1] فبيَّنَ له بالدَّليل الصَّريح أن آلِهتَهُ لا تَسْمَعُ ولا تُبْصِرُ ولا تُغني عنْهُ شيئاً فلِمَ يعبُدُها ويتقرَّبُ إليها وهذا النُّقْصُ واضِحٌ له عياناً، وخاطبَ إبراهيمُ عليه السلام قومَهُ: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[2] فأقلُّ ما يتوفَّرُ لإِلَهٍ يُعبد أن يكون له سمعٌ يسمعُ به العبادة والدُّعاء والابتهال، وهذه الأصنام لا تسمعُ عُبَّادَهَا وهم يتوجَّهُون إليها بالعبادة، ويدعونها للنَّفع والضُّر.

بالعودةِ إلى سُورَةِ مريمَ نجدُ إبراهيمُ عليه السلام يَعْرِضُ دعوته على أبيه: ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾ فالأصل في العبادة أن يتوجَّهَ بها الإنسانُ إلى من

---

1) [مريم-42].

2) [الشعراء-72].

هو أعلى من الإنسانِ وأعلمُ وأقوى، وأن يرفعها إلى مقامٍ أسمى من مقامِ الإنسانِ وأسنى، فكيف يتوجَّهُ بالعبادةِ إذن إلى ما هو دونَ الإنسان، بل إلى ما هو في مرتبةٍ أدنَى من مرتبةِ الحيوان، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضرًّا ولا نفعاً.

وقال إبراهيمُ عليه السلام لقومه بعد تحطيمه للأصنام التي يعبدونها لعلهم يهتدون: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾[1] وهي دعوةٌ منه بصيغة التَّهكُّم مع الدَّليل الواضِحِ أن هذه التَّماثيلَ لا تدري من حطَّمَها إن كنتُ أنا أم هذا الصَّنمُ الكبير الذي لا يملكُ مِثْلَهَا حراكاً، فهي جمادٌ لا إدراكَ له أصلاً، وأنتم مثلَها مسلوبُو الإدراك لا تُمَيِّزُون بين المُمْكِن والمُستحيل[2].

في سورة العنكبوت يبينُ إبراهيم عليه السلام لقومه بالأدلَّةِ الواضِحَةَ فسادَ عَقِيدَتِهم ودناءةَ عِبادَتِهم: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] فهم يعبدون من دون الله أوثاناً والوَثَنُ: التمثالُ من الخَشَبِ وهي عبادةٌ سخيفة، وبخاصةٍ إذا كانوا يعْدِلُونَ بِهَا عن عبادةِ الله، وهم بعبادتهم هذه لا يَسْتَنِدُونَ إلى بُرْهَانٍ أو دليل، وإنما يَخْلُقُونَ إفكاً ويُنْشِئُونَ باطلاً، يخلقونه خلقاً بلا سابقة أو مقدمة، وينشئونه إنشاء من عند أنفسهم بلا أصلٍ ولا قاعدةٍ، كما أن هذه الأوثان لا تقدِّم لهم نفعاً ولا ترزقهم شيئاً، لذلك وجَّهَهُمْ إبراهيم عليه السلام إلى الله ليطلبوا منه الرِّزق، والرِّزْقُ مشغلةُ النُّفوس، وبخاصةٍ تلك التي لم يستغرقها الإيمان، ثم يهتفُ بهم إلى واهبِ الأرزاق المتفضل بالنعم ليعبدوه ويشكروه: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[4].

2) الوعظُ والتَّذكيرُ والتَّرغيب: إن بعض الخصوم قد لا تنقصهم الحقائق، ولا يحتاجُون إلى كثيرٍ من المعلومات، فقد تكونُ مقررةً لديهم ذهنياً، ولكن يَأْبونَ الاعترافَ بها، أويَرَوْنَ في ذلك عيباً أو ذُلاًّ، فعلى المحاورِ أثناء تبيينه للأدلة وعرضه للقضية أن يمزج معها شيئاً من التذكير ولوناً من

---

1) [الأنبياء-63].

2) ينظر، في ظلال القرآن، ج4، ص 2387.

3) [العنكبوت-17].

4) ينظر، في ظلال القرآن، ج5، ص 2728.

المواعظ المؤثرة والتي تطرق القلوب كما تطرق الأدلة العقول، وإذا ما نجح المحاور في هذا باستخدام الترغيب أو الترهيب فخاطب العقل بالعلم والروح بالذكرى، فستتهيأ نفسية الخصم لقبول الحق وتكون أقرب إلى التجرد عن الهوى، والبعد عن الكبر والعناد.[1]

ولقد استعمل إبراهيم عليه السلام في حواراته أسلوب التذكير والترغيب والترهيب ففي حواره مع أبيه: ﴿ يَاأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يَّمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ للشَّيْطَانِ وَلِياً ﴾ فبعد أن نهاه عن عبادة الشيطان، استمرَّ في مناداته بالرِّفق واللِّين محذراً إياهُ من عقابِ اللهِ تعالى، وعلى الرَّغم من أنه يُحَذِّرُهُ من عذابِ الله تعالى إلاَّ أنه استعملَ في أسلوبِ التَّحذيرِ والتَّرهيبِ كلَّ لُطْفٍ ورِقَّةٍ ليُناسِبَ مقامَ شفقته عليه ورحمته به، فعبَّرَ بالخوْفِ وهو توقُّعُ مكرُوهٍ من أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومة، فلم يَذْكُرْ له أنه جازمٌ بمسِّ العذاب له مجاملةً له، لأن ذلك أجمل من القطْعِ بعذابه، أو لإظهار أن عاقبة أمره وخيمةٌ فيجوزُ أن يُعذَّبَ وأنْ لاَ يُعَذَّب، واستعمل المسَّ المُشْعِرَ بالتَّقليل المنبئ عن قِلَّة الإصابة، بدلاً من ذِكْرِ ما يُشْعِرُ بشِدَّة عذابه، ونكَّر العذاب للتَّقليل، ووصف العذابَ بأنَّه من الرَّحمنِ ليكُونُ مُشْعِراً بالتَّخفيف وكل هذا يتلاءم مع تلطُّفِه بأبيه وحُسْنِ الأَدبِ معه.[2]

في سورة العنكبوت وأثناء حواره مع قومه يعظهم إبراهيم عليه السلام ويُبيِّنُ لهم خطورةَ إشراكهم باللهِ والتوجُّه بالعبادة إلى الأصنام بقوله: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[3]، فالتَّعبير بيومِ القيامةِ دون الحياةِ الآخرةِ جاء لما فيه من تخويفٍ وإشارةٍ إلى البعثِ والقيامِ والحساب، وتقديمه على متعلِّقِه للاهتمامِ ببيانِ الوقتِ المحدَّدِ لتناكرهم وتلاعنهم، بجانب ما في ذلك من تشويقٍ إلى الحدثِ المؤخَّر. وفي لفظ "يكفر" دلالةً على شِدَّةِ الجُحود والنُّكران فالمخاطبون يكفرون بأصنامهم، ويجحدون عبادتها، وينكرون معرفتهم بها. وفي "يلعن" دلالةٌ قويةٌ على شِدَّةِ الخُصومة بين الفريقين: العَبَدَة والمعبودين، ويجوز أن يكون ذلك بين العَبَدَةِ وحدهم

1) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 438.

2) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص 34.

3) [العنكبوت-25].

حيثُ ينقسمون إلى فريقين: ضالِّين ومُضِلِّين، ويشتدُّ التَّناكر والتَّلاعن بينهما، وصيغة المضارع في الفعلين تُصَوِّرُ حالهم وتشير إلى استمرار التَّناكر والتَّلاعن وتجَدُّدِهِ بينهم.

وبعد بيان الخزيِ الذي يَلْحَقُهُمْ من جهةِ أنفسهم تبعه بذكر ما يلحقهم من خزيِ العذابِ الشَّديدِ "ومأواكم النار" وفي جعل النار مأوىً لهم تهكُّمٌ لاذِعٌ بهم وسُخريةٌ منهم، إذ المعتاد أن يأويَ الإنسان إلى مكانٍ يحتمي فيه ويستريح، أمَّا هم فمأواهم النَّار يُحرقون بلظاها ويشويهم لهيبها، وفي الجملة قَصْرٌ أي: مأواكم النَّار لا غيرُها، وفيه تأكيدٌ لعدم خروجهم من النَّار إذ لا مأوىً لهم غيرها، والانسان لا يبقى بدونِ مأوى، وفي جعل النَّار مأواهم تناسبٌ بديعٌ بين ما فعلوه بإبراهيم وما يُفْعَلُ بِهِمْ يومَ القيامة، فقد ألقوه في النَّارِ وجعلُوهَا مأوىً لهُ ولكنَّ الله تعالى نَجَّاهُ منها، وها هم يُكَبُّونَ في النار لتكون مأواهم، ولكن لن يجِدُوا من ينقذهم منها، وقد جاءت الجملةُ التاليةُ مبينةً ذلك: "ومالكم من ناصرين" أي: لن تجدوا ناصرين يُخلِّصُونكم من النَّار كما خلَّصني ربِّي من النَّار التي ألقيتموني فيها، وجمع النَّاصر لوقوعه في مقابلة الجمع، أي ما لأحدٍ منكم من ناصرٍ أصلاً، وتنكير "ناصرين" مع إيقاعها في سياقِ النفيِ مفيدٌ للعموم، وإدخال "من" عليها للتَّنصيصِ على العموم. ومجيءُ هاتين الجملتين اسميتين مفيدٌ لثبوت هذا الجزاء لهم، وتَقَرُّرِهِ في حقِّهِم واستمْرَارِهِم فيه، أما التَّناكُرُ والتَّلاعُنُ فهو أمرٌ متجدِّدٌ بينهم، ومن ثَمَّ عبَّر فيه بالمضارع كما بيَّنَّا آنفاً.[1]

3) التَّحَدِّي والإِفْحَامُ وإِقَامَةُ الحُجَّةِ عَلَى الخَصْمِ: إن أسلوبَ التَّحَدِّي في الحوار، ولو كان بالحجةِ الدَّامِغَةِ والدَّليلِ المبين، يُبَغِّضُ صاحبَهُ للآخرين، وقد يُفْحَمُ الخصمُ ويعجزُ عن الجوابِ ولكنه لا يقتنع، أو يَسكتُ بقوةِ الحجة، ومع ذلك لا يُسَلِّمُ للحقِّ لأنه أُحْرِجَ أو أُفْحِمَ أو أُهِينَ أمام الآخرين. ولكن يلجأُ إلى التحدِّي والإفحامِ مع المجادلينَ الذين هَمُّهُم الجدالُ والاستهزاءُ وإثارةُ الشُّبَهِ وتضليلُ الآخرين، والإساءةُ إلى الفكرةِ وإهانةُ المبادئِ، أو من تجاوزَ حدودَ الأدبِ أو نحو ذلك، فمثل هؤلاء ربما لا يناسب معهم اللين والرفق، وإنما ينبغي إفحامهم ودحض حججهم وإسقاط هيبتهم من النفوس، وإحراجهم وإسكاتهم أمام الملأ وتبيينُ اضطرابِ أقوالهم.

---

1) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص 185.

عندما جادل النمرود إبراهيم عليه السلام في ربِّه، بعد أن أوتي الملك، فكان ذلك سبب استعلائه وتكبره، وطلب الأدلة والبراهين على وجود الله عز وجلَّ، استحقَّ الإسكاتَ والتحدِّي وأن يُبْهَتَ ويُفْحَمَ بعد أن ادَّعى شيئاً من خصائص الألوهية والربوبية: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَاتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1] وبذلك وقف وانقطعت حُجَّته، واضمحلَّت شُبهته، وبان كَذِبُ دعواه.[2]

فجملةُ مقولِ القول: " فإن الله يأتي بالشمس " دخلت الفاءُ على "إن" إيذاناً بتعلُّقِ هذا الكلام بما قبله، والمعنى: إذا ادَّعيْتَ الإحياءَ والإماتةَ ولم تفهم، فالحُجَّةُ أن اللهَ يأتي بالشَّمس من المشرق فأت بها من المغرب. وتأكيد الكلام لأنَّ المقام يقتضي التأكيد، والتعبير باسم الجلالة دون لفظ "ربي" المستعمل في الدَّليل الأوَّل لما فيه من بعثِ الخشيةِ والمهابةِ والترقِّي في التَّعبير بذكر اللهِ تعالى بالاسمِ المختصِّ به الذي لا يَشترِكُ معه أحدٌ فيه.

والتعبير بالمضارع "يأتي" للدَّلالة على التجدُّدِ والاستمرار، فالإتيانُ بالشَّمس من المشرقِ أمرٌ مستمرٌّ ومتجدِّدٌ كلَّ صباح، و"الباء" للتعدية، و"من" في الموضعين لابتداء الغاية وهي متعلقة بالفعل الذي يتقدمها.

والأمرُ لتحدِّي الطاغيةِ النمرودِ وتعجيزِهِ وإِلْقَامِهِ الحَجَر، لأنه لن يستطيع أن يفعل ذلك مهما أُوتي من قوَّة، بل لا يمكن أن يفكر في فعله لما يعلم مُقَدَّماً من استحالته عليه، وبين المشرق والمغرب طباق يوضح المطلوب منه أتم توضيح، إذ عليه أن يفعل عكس ما تجري به السنة الإلهية في الكون، وهذا محال.

ولقد اختلفَ أسلوبُ النظمِ بين جُزْئَيْ هذا التَّحدِّي، فجاء الأوَّلُ خبراً لا يشتملُ على تحدِّ الطَّاغيةِ ولعلَّ هذا كان إيذاناً بمكابرته فيه، وجاء الثاني خبراً مؤكداً يعقبه تحدٍّ قويٌّ للطَّاغية عن طريقِ الأمرِ لإثباتِ عجزِهِ وإعلانه على الملأ، وجاء الأوَّلُ باسم الرَّبِّ المُشْعِرِ بالتَّربيةِ والرَّحمةِ

1) [البقرة-258].

2) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 417.

واللُّطفِ، وجاء الثاني باسم الجلالةِ المُشْعِرِ بالمهابة والخوف والقوّة، وفي هذا انتقالٌ في أسلوبِ المُحاجَّةِ إلى الأقوى لإِلْزام الخصمِ وإفحامه.

ولكنَّ هذا التَّحدِّي كان قاطعاً في إفحـــامِ الطاغية وإخراسه عن الكلام، فلم يستطع جواباً ﴿ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ ﴾ أي دُهِش وتحـــيَّر، وأخذه الحصر من نصوعِ الحُجَّة وسُطوعها فلم يحر جواباً. يقال: بهت الرجل يبهت بهتاً، وهو من الأفعالِ التي جاءتْ على صورةِ المبنيِ للمفعول والمعنى فيها على البناءِ على الفاعل، فالذي كفر فاعلٌ لا نائبُ فاعل.

والإتيان بالفاء للاشعارِ بسرعةِ إصابتهِ بالبهتِ عُقَيْبَ التَّحدي مباشرة، دون وجودِ زمنٍ ولو قليلٍ يخطرُ لهُ فيهِ أنْ يفكِّرَ في فعل الأمر المُتحدَّى به، لتيقُّنِهِ من أنه لن يمكنه القيام به.[1]

4) توقُّعُ المُخَالَفَـــةِ برَغْمِ الإِقْنَاع: ينبغي للمحاورِ أن يُوَطِّنَ نفسه لأن يُخالفه الآخَـــرُون – ولو كان مصيباً على الحق – ولو أقام الحُجج والبراهين وحشد الأدلة والشواهد، ولو لم يبق لخصمه متمسكاً من شبهة أو دليل، فربما يقتنع الطرف الآخر داخلياً وتستيقن نفسه أن محاوره على الحق، لكنه يجحد ويعاند، ويُصِرُّ ويكابر بتأثير عواملَ نفسيةٍ من كِبْرٍ أو زهو أو رغبة في الانتصار وخوفٍ من الهزيمة أمام الآخرين، أو سيطرةِ الهَوَى على العَقْلِ والقَلْب، وعند ذلك فقد لا يُجْدِي مَعَهُ منطِقٌ ولا دليل.

فهذا إبراهيمُ عليه السلام يحاورُ قومَهُ محاورةً طويلةً مبنيةً على أصولٍ شرعيةٍ وقواعدَ عقليةٍ منطقية، لا يُنْكِرُها إلا مُكابر، حتى يرجع القوم إلى أنفسهم ويعرفوا أخطاءهم ولكن يأبى الظالمون إلا كفوراً، ويزيدون على ذلك أن يَصُبُّوا جام غضبهم على إبراهيم الخليل عليه السلام، فيعزموا على حرقه بالنَّار نُصرةً لآلهة الضَّلال، ومما جاء في تلك المحاورة قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ءَآنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِئَالِهَتِنَا يَآ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُمُ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ فَرَجَعُواْ إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُواْ إِنَّكُمُ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلآَءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ

1) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص 199.

مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُم ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ۞ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانصُرُواْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾.[1]

استعملَ إبراهيمُ عليه السلام أسلوباً حكيماً في تعامله مع قومه عندما قام بتكسيرِ الأصنام، فقد نحتاج إليه في بعض الحالاتِ التي نشعرُ فيها إزاءَ الواقعِ الذي يعيشُهُ مجتمعُ الانحرافِ بوجودِ بعض الثغراتِ الكبيرةِ والصغيرةِ التي غَفَلَ عنها أصحابُها، فإن من الطبيعيِّ أن نكتشفَ ذلك ونفتح المعركةَ التي تُفْسِحُ لنا مجالَ الدُّخولِ في الحوارِ الذي يصلُ بنا إلى الهدفِ الذي نريد، مع مواجهتهم بالخطأِ الكبيرِ في عقيدتِهم أو في سلوكِهم ودفعهم إلى أحدِ موقفين، إما موقفُ الاعترافِ بالحقيقةِ من خلالِ اكتشافِ الخطأ، وإما موقفُ الظُّهورِ بمظهرِ العنادِ والمكابرةِ الذي يُفْقِدُهُم الشُّعورَ بالاحترامِ لدى أنفسهم ولدى الآخرين فيفقدون بذلك كُلَّ قوةٍ للتأثيرِ على الآخرين في السَّيْرِ على خطى الضَّلاَلِ والانحراف. ولابد لنا في اتباعِ هذا الأسلوب، من الانفتاحِ على أفكارِ الآخرينَ وممارستهم، لنكتشفَ نقاطَ الضعفِ ونقاطَ القُوَّةِ لنستفيدَ منها في معركةِ الحوارِ من أجلِ العقيدة.[2]

5) التدرُّجُ والبَدْءُ بالأَهَم: إنَّ المحاورَ العاقلَ الذَّكِيَ هو الذي يصِلُ إلى هَدَفِهِ بأقربِ طريق، فهو لا يُضَيِّعُ وقتهُ فيما لا فائدةَ منه ولا علاقةَ له بأصلِ موضوعِ الحوار، أو بمقدماتٍ يظُنُّهَا مهمةً وهي ليست كذلك، فيضِيقُ الوقتُ على الموضوعِ الأساسي، وربما لا يُكْمِلُ نِقَاشَهُ أو لا يُعْطِي حَقَّهُ ولا يخرج منه بنتيجة، ولذلكَ فإنَّ معرفةَ الأهمِّ والبدءَ به وتحديدَهُ بوضوحٍ يُسَهِّلُ كثيراً من المهمةِ ويختصرُ الطَّريقَ في الوصولِ إلى الحقّ، وهذا ليس معناهُ عدمَ تهيئةِ الجوِّ المناسبِ للحوار، أو إهمالَ المقدماتِ الضروريةِ والتي لابد من ذكرها، كلا وإنما المقصودُ التوازن في ذلكَ أولاً، ثم وبعد المقدماتِ والتهيئة، يختارُ أهم قضيةٍ في الموضوعِ للبدءِ بنقاشِهَا ومن ثم الانتقالُ إلى غيرها وهكذا.

---

1) [الأنبياء-62،68].

2) ينظر: الحوار في القرآن، ص 248-249.

ولعلَّ أوضَحَ الأمثلةِ لذلِكَ بَدَءَ الأنبياءُ – عليهم الصَّلوات والسَّلام – بأهمِّ قضيَّةٍ وأكبرِ غايةٍ بل هي أُمُّ القضَايا وأسَاسُهَا، ألا وهي الدَّعوةُ إلى عبادةِ الله وحده لا شريكَ لهُ وعدمِ صرفِ شيءٍ منها لغيره، وقد كان كُلُّ نَبيٍّ يبدأُ بدعوةِ قومه بقول: ﴿ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.

إذا تقرَّرَ هذا الأدبُ – وهو البدءُ بالأهم – فقد يحتاجُ المحاورُ إلى أن يتدرَّج ويتنازل مع خصمه، ويُسَلِّمَ له ببعض الأمورِ تسليماً جدلياً مؤقتاً، وذلك حتى يَصِلَ إلى القضيةِ الأهمِّ والمسألة الأم، أو لتقريبِ وجهات النظر بينهما، أو لزعزعة موقف الخصم المعاند، خاصَّةً إذا كان الأمر المُتنازَلُ عنه أو المُسَلَّمُ به – جدلياً – مسألةً شكليةً أو جزئية، لا تَمُسُّ أصلَ قضية الحوار، أو لا تؤثر فيها بشكل واضح، أو كان في التسليم بها تدرجاً إلى دليلٍ قويٍّ وحُجَّةٍ بينة.

وكثيراً ما يكونُ هذا الأسلوبُ هو بدايةَ النَّجاح للمُحاور المحق، إذ أن الخصمَ المُعَانِدَ - غالباً- ما يتمسَّكُ بجزئيةٍ تافهةٍ أو حُجَّةٍ واهيةٍ، ويظُنُّ أنها القاصِمَةُ لخصمه وأنه سيعلو وينتصر، فيبني عليها جميع نقاط الحوار والنقاش، ويُرْجِعُ إليها كُلَّ صغيرة وكبيرة، فإذا سَلَّمَ له المحاور من بداية الطريق تسليماً مؤقتاً وأظهر موافقته التامة على شبهته – التي يظنها حُجَّةً دامغة – عندها يكون المحاورُ قد أحرق أهمَّ ورقةٍ لخصمه، وعندها يمكن للمحاور أن يَجُرَّ خصمَهُ إلى القضيةِ الأهمِّ ويلقي عليه من الحجج والبراهين ما تُفْحِمُهُ وَتُسْقِطُه، إذ لا يملكُ جواباً ولا ردًّا لها، لأنه لم يحسب لها أيَّ حِسَابٍ أصلاً.

وهناك عدة أمثلةٍ ونماذجَ لهذا الأسلوبِ فمنها: الأسلوبُ الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك، حيث قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾[1] وهذا على وجه التنازل للخصم، أي هذا ربي بزعمكم فهَلُمَّ نَنْظُر هل يستحِقُّ الرُّبوبيةَ والعبادَة؟ وهل هناك دليلٌ على ألوهِـــيَّتِه؟ إذ لا ينبغي لعاقلٍ أن يتخذ إلهاً بغير حُجَّةٍ ولا بُـــرْهَان، ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الاَفِلِينَ ﴾[2] فبطلت إذن عبادة الكواكب، ثم فعل مثل ذلك لما رأى الشَّمس، حتى وصل بهم إلى حدِّ إبطالِ عبادةِ الشَّمسِ والقَمَرِ وسَائر الكَواكِب، ولم يبق إلا أن

1) [الأنعام-76].
2) [الأنعام-76].

يتبرَّأَ مما يُشْرِكُ به قَوْمُهُ وأن يتوجَّهُ بالعبادة لخَالِقِهَا الذي فطر السَّماوات والأرض: ﴿ فَلَمَّا رَءَا القَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.[1]

وهذا الأسلوبُ من الخليل عليه السلام وقوله ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾: قولُ من يُنْصِفُ خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غيرَ مُتَعَصِّبٍ لمذهبه، لأن ذلك أدعى إلى الحقِّ وأنجى من الشَّغب، ثم يُكِرُّ عليه بعد حِكَايته فَيُبْطِلُهُ بالحُجَّة.[2]

وهذا الذي استعملَهُ إبراهيمُ عليه السلام هو التَّسليمُ الجدليُّ، فإبراهيمُ كان مُناظِراً لقومه، فقال ما قالَ تمهيداً للإنكارِ عليهم، فحكى مقالتَهُم أوَّلاً حِكَايَةً استدرجَهُمْ بها إلى سَمَاعِ حُجَّتِهِ على بُطْلاَنِها، إِذْ أَوْهَمَ أنه موافِقٌ عليها على زعمهم ثم كَرَّ عليه بالنَّقْضِ، بَانياً دليلَهُ على قاعدةِ الحِسِّ والعقل.[3]

إنها قضيةٌ بسيطةٌ سلك فيها إبراهيمُ عليه السلام صاحبُ الحُجَّةِ مسلكاً عقلياً هادِئاً، فهو أوَّلاً ردَّ القومَ إلى أرضيةٍ مُشتركَةٍ يرتضِيهَا كُلُّ صاحبِ عقْلٍ وهي أنَّ الإِلَهَ لا ينبغي له أن يغيب، ثم هو بعد ذلك ثانياً سايَرَهُمْ في آلهتِهم المزعومة بالتدريج، وفي كُلِّ مرَّةٍ كان يبرهِنُ لهم على بطلانِ عبادتهم، وثالثاً وأخيراً أعلنها واضحةً جليةً أمام أعينهم: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[4]، وهذا منهجٌ في مناظرةِ ومحاورةِ الذين يخالفونك في الرَّأي، منهجٌ حكيمٌ سديدٌ عقليٌ هادئٌ يدمَغُ من أمامه بالحُجَّةِ الفَاصِلَةُ والبُرهان السَّاطع.[5]

---

1) [الأنعام-77،79].

2) الكشاف، ج 2، ص 31.

3) مختصر تفسير المنار، ج 2، ص 494.

4) [الأنعام-79].

5) مواقف إيمانية من قصة الخليل، ص 21.

6) تقديرُ الخصْمِ واحترامُه: ينبغي التَّأكيدُ على الإحترامِ المتبادلِ بين المتحاورين، وإعطاءِ كل ذي حقٍّ حقَّهُ والاعترافِ بِمَنْزِلَتِهِ ومَقَامِهِ، فَيُخَاطِبُ بالعباراتِ اللاَّئقةِ والألقابِ المستحقَّةِ والأساليبِ المهذَّبَة. كما أنَّ تبادلَ الاحترامِ يقودُ إلى قبولِ الحق والبُعدِ عن الهَوى والإنتصارِ للنَّفس، أما انتقاصُ الرِّجالِ وتجهيلُهَا فأمرٌ معِيبٌ مُحَرَّم.[1]

لقد كانَ إبراهيمُ عليه السلام حريصاً جداً على هدايةِ أبيهِ فما فَتِئَ يُكَرِّرُ عليه دعوته بغاية اللُّطفِ واللِّينِ والرِّفقِ معه، وكان في دعوته إياه مراعياً آدابَ النَّصيحةَ وحسنَ أدَبِ الصَّغيرِ مع الكبير، قويَّ الحُجَّةِ صابراً محتسباً كُلَّ أذىً يلقاه في سبيلِ دعوته، ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾[2] استعمل الابنُ في خطابه مع أبيه "يا أبت" لِيُشْعِرَهُ بأنه ابنه، والإبنُ البَارُّ يكونُ حريصاً على ما ينفعُ أباه، ونلاحظ أن إبراهيم عليه السلام لم يَعِبْ أباه مباشرة و لم يعمد إلى تجريحه وتنقيصه وإنما عابَ معبُودَهُ وأَظْهَرَ سَوْأَتَه، إنَّهُ معبودٌ أصمٌّ أعمى لا ينفعُ عابِدَهُ بشيء، فما الفائدةُ من عبادتِهِ وهو أنقصُ وأعجزُ ممن يعبُدُهُ؟.

﴿ يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَاتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا ﴾[3] مازال إبراهيمُ عليه السلام مُتلطِّفاً مع أبيه مترفِّقاً به فلم يصف أباهُ بالجهلِ المُفرطِ ولا نفسَهُ بالعلمِ الفائق، ولكنه قال: إنَّ معي طائفةً من العلمِ وشيئاً منه ليس معك، فاتَّبِعْنِي فأنا وأنْتَ في مسيرٍ واحدٍ ومصلحتك تقتضي أن تتبعني لتنجو من الضَّلال والتِّيه.

﴿ يَاأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾[4] مع أن أباهُ لم يدَّعِ أنه يعبد الشيطان ولكنَّ إبراهيمَ عليه السلام يبين له: إِنَّ عِبادتَكَ لغيرِ الله هي عبادةُ للشيطانِ لأنه هو الآمرُ بها والمسوِّل لها، فكأنه عليه السلام يقولُ لأبيه: لا ينبغي أن تُطِيعَ الشَّيطانَ لأنه عاصٍ لربه وهذا لا يليقُ بك.

---

1) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ص 32.
2) [مريم-42].
3) [مريم-43].
4) [مريم-44].

﴿ يَآأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يَّمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ للشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[1] تحوَّلَ إبراهيم عليه السلام إلى التَّرهيب، ولكنَّ ذلكَ لم يُخْرِجْهُ عن حدودِ الأدبِ واللَّياقةِ والتَّقديرِ والاحترامِ لأبيه، فخوَّفه من سُوءِ العاقبة ولكنه لم يصرِّح بأنَّ العِقَابِ لاحقٌ لكنه ذكر الخوفَ والمسَّ ونكَّر العذابَ، حتى لا يدفعه إلى اليأسِ والقُنُوطِ من رحمةِ الله سبحانه وتعالى.

نلاحظُ أَنَّ إبراهيمَ عليه السلام قد صدَّرَ كُلَّ نصيحةٍ من نَصَائِحِهِ الأربع لأبيه "يا أبت" توسُّلاً إليه واستعطافاً مع أنَّ إبراهيمَ عليه السلام على الحقِّ وأَبَاهُ على الباطلِ المبين، ولكنها آدابُ الاحترامِ والتَّقديرِ والتَّذكِرة وذلك بإشعارِ المدعُوِّ بأنَّه يُرَادُ له الخيرُ والنَّجَاة.[2]

يَرُدُّ الأب المُصِرُّ على ابنهِ الدَّاعي بقوله: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ اَنتَ عَنَ الِهَتِي يَآإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[3] هذا الرَّدُّ الفظُّ الجَافِي يَشْتَمِلُ إِنْكَاراً وتهديداً وأمراً أما الإِنْكَارُ فهو: ﴿ أَرَاغِبٌ اَنتَ عَنَ الِهَتِي يَآإِبْرَاهِيمُ ﴾ أَمَّا التَّهْدِيدُ: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ ﴾، أَمَّا الأَمْرُ: ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾، وقد كان ردُّ أبيه رداً ينطلقُ من موقع الشُّعورِ بِسُلطةِ الأُبُوَّةِ التي تضغطُ على الابنِ لِيَسيرَ على خُطَى أبيهِ وتُهَدِّدُهُ بِالقُوَّةِ والطَّرْدِ والهُجْرَانِ إن خَالَفَ ذلك، فلا حِوارَ ولا كَلامَ بين الابنِ وبين أبيه، إنما هو الأمرُ والطَّاعة، فَلِلأبِ أن يُعلن عنْ رغْبَتِهِ قبل أَمْرِه، ولِلاِبْنِ أن يُنَفِّذَ دُونَ تردُّدٍ أو تَفْكِير، إنَّهَا شَرِيعَةُ المجتمعِ آنذاك، التي تَجْعَلُ من علاقةِ الآباءِ بأبنائِهِمْ عَلاَقةً تُشْبِهُ العُبودِية.[4]

لَكِنَّ العَجَبَ كُلَّ العَجَبِ من مَوْقِفِ إبراهيمَ عليه السلام مقابلَ هذا الإنكارِ الشديدِ والتهديدِ والوعيدِ والأمرِ بالهجران، فيأتي الجوابُ مخالفاً لما تُمليه أهواءُ النَّفْسِ ونزعاتُ الشَّيطانِ ومُوافقاً لما تُوجبُهُ شرائعُ الله تعالى، وما عَهِدْنَاهُ من أخلاقِ خليلِ الرَّحمنِ إبراهيمَ عليه السلام محافظاً على كُلِّ التَّقديرِ والاحترامِ لأبيه العاصي، ﴿ قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ

---

1) [مريم-45].

2) مواقف إيمانية من قصة الخليل، ص 5.

3) [مريم-46].

4) الحوار في القرآن، ص 253.

وَمَا تَدْعُـــونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُـــونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾[1] وردُّ إبراهيم عليه السلام يشتمِلُ على دُعاءٍ وَوَعْدٍ وَإِجَابَةٍ وَمَنْهَج، فأما الدُّعاء فهو: ﴿ سَلاَمٌ عَلَيْكَ ﴾ وهو دعاءٌ لأبيه بالسَّلامة من كُلِّ سُوءٍ تطييباً لخاطره، وهو في نفسِ الوقتِ سلامُ توديعٍ ومتاركةٍ، ومقابلةٌ للسَّيئةِ بالحسنة. وأما الوعد فهو: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ وَعَدَ إبراهيم عليه السلام أباه أن يستغفرَ له ربَّهُ عز وجل لعلَّهُ يوفِّقُهُ للتَّوبةِ والإيمانِ ويهديه إلى الصِّراطِ المستقيم، وكان هذا الوعدُ من إبراهيم عليه السلام قبل أن يعلم أن أباه يموتُ على كفره، ولهذا قال الله عز وجل في موضعٍ آخر: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّـــهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[2]. وأما الإجابة فهي: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ فبهذا يكون إبراهيم عليه السلام قد استجاب لأمر أبيه بأن يهجره طويلاً، إذ أخبره بأنه سيبتعدُ عنهُ وعن قومِه وما يعبدُون، ويتركُهُمْ وشأنَهُم بعد أن قامَ بما عليه من نصحٍ وتبليغٍ فلم يستجِيبُوا و لم يهتدُوا.

وإجابةُ إبراهيمَ عليه السلام فيها من حُسْنِ الأدبِ وكمالِهِ وغزارةِ المعنى وتمامه، وفيها من التَّقديرِ والاحترامِ ما ليس في أمرِ أبيه فقد عبَّرَ الأبُ بالهَجْرِ وهو لفظٌ شديدُ الجرسِ يوحي بالفراقِ والمخاصمةِ والمقاطعة، وعبَّرَ إبراهيمُ عليه السلام بالاعتزالِ وهو لفظٌ معتدلُ الجرسِ ينطوِي على المفارقةِ بالمعروف. وطلب الأبُ من إبراهيم عليه السلام أن يهجُرَهُ عن طريقِ الأمرِ المباشرِ الذي يقتضِي التَّنفيذَ وخَصَّهُ بذلك ليكونَ أشدَّ وأقسى عليه، بينما لم يطلُبْ إبراهيمُ عليه السلام من أبيهِ أن يعتزِلَهُ وجعلَ الاعتزالَ من جهته هو، و لم يواجهْ أباهُ بالاعتزالِ و لم يَخُصَّه بذلك، بل جعلَهُ اعتزالاً عاماً لقومه الكافرينَ وما يعبدُونَهُ من دونِ الله وأبوهُ داخلٌ في العموم، وفي هذا رفقٌ بالأب لعدم مواجهته بالابتعاد، وعبَّر عن الاعتزالِ بالمضارعِ الذِي يَتَّسِعُ زمانُ تنفيذه لتخفيفِ وقعِ الخَبَرِ على أبيه.

وأما المنهجُ فهو: ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ فبهذا يبيِّنُ إبراهيمُ طريقَهُ ومنهجَهُ القائمَ على عِبَادَةِ اللهِ الواحِدِ، وأكَّدَ لأبيهِ وقومهِ أنَّهُ لن يَحِيدَ عن عبادةِ ربِّهِ.[3]

---

1) [مريم-47،48].

2) [التوبة-114].

3) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص 42-46.

7) السُّؤالُ والاِستفهام: من الأساليبِ المُتَّبَعَةِ في الحوارِ طريقةُ السُّؤال والاِستفسار، وله عِدَّةُ أغراض فقد يكُونَ للتَّقْرِيرِ عِنْدَ ذِكْرِ حَقَائِق مُسَلَّمَة لاَ مجالَ للاِعتراضِ عليها، كما قال إبراهيمُ لقومه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1] والاستفهامُ بِكَيْفَ مُستعملٌ في التَّنبيهِ ولَفْتِ الأَنْظَارِ فِي طَلَبِ الأخبار.[2]

وقد يُستخدمُ الاستفهامُ للانكارِ على المخالفِ قولاً أو فعلاً، كما يُكِرُّ إبراهيمُ عليه السلام على القومِ بإنْكَارِ ما يعبُدُونَ هُمْ وآباؤُهُمْ دُونَ نظرٍ وتأمُّلٍ ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الاَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] فالاِستفهامُ لِلانْكَارِ التَّوبيخي، وهو يتضمَّنُ بُطْلاَنَ آلهتهم وبُطْلاَنَ عبادتها وإِنَّهُ ضَلاَلٌ قديمٌ لاَ فَائِدَةَ فِي قِدَمِهِ إلاَّ ظهورُ بُطْلاَنه.

وكما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[4] فسلك في بيان حجته مسلكَ الاستفهامِ دُونَ أن يُبَيِّنَ لهمْ عَجْزَهَا بِأُسلوبٍ خَبَرِي، ليتوصَّلُوا إلى النتيجةِ بأنفسِهِمْ ولتكونَ إجابَتُهُمْ إقراراً مِنْهُمْ بِعَجْزِهَا، وإنما قال ﴿ يَسْمَعُونَكُم ﴾ دون " يُجيبُونَكُم " لأن السَّماعَ أقلُّ من الإِجَابَةِ فإذا عَجَزَتِ الأَصْنَامُ عن السَّماعِ فهي عن الإجابةِ أَعْجَز. وتقديمُ السَّمْعِ على النفعِ والضُّرِّ لأنَّ عدمَهُ أدَلُّ على العَجْزِ مِنْهُمَا، كما أنَّ النفعَ والضُّرَّ يَبْنِيَانِ على السَّمْع، إذ يكون السَّمْعُ أولاً ثم يترتَّبُ عليه الفِعْل، وتقديمُ النفعِ على الضُّرِّ لأن تحقيقَ النفعِ أهمُّ بالنسبة لهم والنفوس مولعةٌ بما يحقق لها نفعاً، وفي ترك مفعولِ ﴿ يَضُرُّونَ ﴾ دلالةٌ على العموم، فهم لا يَضُرُّونَهُم ولا يَضُرُّونَ غيرهم، بجانبِ ما في ذلك من مُراعاةِ الفَواصِل. وبين " يَنْفَعُونَ " و " يَضُرُّونَ " طباقٌ يؤيد تمامَ عجزِ الأصنام، وذلك بارتفاعِ النقيضينِ عَنْهَا فَهِيَ لا تنفعُ ولا تضُرّ.[5]

---

1) [العنكبوت-19].

2) ينظر: التحرير والتنوير، ج 20، ص 229.

3) [الشعراء-75،77].

4) [الشعراء-72،73].

5) ينظر: خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص 60-61.

▪ المبحث الثاني: ضَوَابِطُ الحوارِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن

إنَّ الغرضَ من الحوارِ هو البحثُ عن الحقِّ ليتَّضِح، وحتى نميِّز الحوارَ عن الجدلِ المذمومِ أو المراءِ البعيدِ عن نُشْدَانِ الحقيقة، وحَى لا يتحوَّلَ الحوارُ إلى مشاحناتٍ أنانيةٍ ومشاغباتٍ ومغالطاتٍ ونحوِ ذلك، مما يفسدُ القلوبَ ويهيجُ النُّفوسَ ويُوَرِّثُ التعصُّبَ ولا يوصِلُ إلى الحقّ، وحتى لا يصبحَ الأمرُ انتصارًا وإعجابًا لِكُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه، فلابُدَّ منْ آدابٍ للحوارِ الهادفِ بُلُوغًا إلى الصَّواب.

وعلى الْمُتَحَاوِرَيْنِ أن يُرَاعِيَا هذهِ الآدابَ والضَّوابطَ لضمانِ سلامةِ الحوارِ والرُّقيِّ به لينجحَ ويحقِّقَ الغايةَ المرجوةَ منه، فهناكَ آدابٌ تتعلَّقُ بنفسيةِ المتحاوِرَيْنِ وشَخْصَيْهِمَا، وآدابٌ تتعلقُ بمادَّةِ الحوارِ الأصليَّةِ وموضوعاتهِ الأساسيةِ والضَّوابطِ والأصولِ العلميةِ وما يتعلَّقُ بذلك من أسُسٍ يجبُ اتِّباعها أو محاذيرٍ يجبُ اجتِنَابُهَا حتى ينضبطَ الحوار، وآدابٌ أخرى تتعلَّقُ بالألفاظِ المختارةِ والعباراتِ المناسبةِ التي تجرِي على لسانِ المتحاوِرَيْن، فنستنتجُ أنَّ الحوارَ يشملُ جانبيْنِ مهمَّيْنِ: المادَّةُ العلميةُ المطروحةُ للنِّقاش، والمادَّةُ السُّلوكيَّة التَّربويَّةُ، التي تملِكُ الحيِّزَ الكبيرَ من الحوارِ وتسيِّرُهُ وتوصِلُهُ إلى بَرِّ الأَمان، والحوارُ في قصصِ إبراهيمَ عليه السلام توفَّرَتْ فيه جُملةٌ من هذهِ الآداب، منها:

1) الإخلاصُ في الدَّعوةِ، وصدقُ النِّيَّة لله تعالى: فلابُدَّ من توفُّرِ حسنِ النِّيَّةِ وسلامةِ القصدِ والإخلاصِ لوجهِ اللهِ تعالى، وأن يبتعدَ الْمُحَاوِرُ عن قصدِ الرِّياءِ والسُّمعة والظُّهورِ على الخصمِ والتَّفوقِ على الآخرينَ والانتصارِ للنَّفْسِ وحُظوظِهَا وأهوائِهَا وانتزاعِ الإعجابِ والثناء، ثم يبيِّنُ قصدَهُ وهدَفَهُ من حواره خاصَّةً إذا كانَ الخصمُ مُعَانِدًا مُستكبِرًا، ثم عليهِ أن يُسَاعِدَ خصمه في طلبِ الإخلاصِ وتصحيحِ النِّيَّةِ والقصدِ والبُعْدِ عن الاستغلالِ السَّيِّئِ للحوار، مع التجرُّد في طلبِ الحقّ، وذلك بأن يدخُلَ ساحةَ الحوارِ باحثًا عن الحقِّ ومُنتصرًا له ونجـــدُ ذلكَ مع إبراهيمَ عليه السلام: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1]، وإذا تتبَّعنا كُلَّ حواراتِ الخليلِ عليه السلام نَجِدُهُ قد أخْلَصَ نِيَّتَهُ وَعَمَلَهُ لِوَجْهِ اللهِ عز وجل.

---

1) [الصافات-84].

2) الحِلْمُ والصَّبرُ والتَّحمُّلُ وضبطُ النَّفسِ والثَّباتُ والاستمرارُ وعدمُ اليأس: المحاورُ مُطَالَبٌ بِأَنْ يَتَحَلَّى بالحلمِ والصَّبرِ، وأن يُجَابِهَ السيِّئةَ بالحسنةِ وفحْشَ الكلامِ بِلَيِّنِهِ والشِّدَّةَ بالرِّفقِ والسُّخريةَ والاِحتقارَ بالتَّوقيرِ والاِحترام، فالطَّريقُ محفوفةٌ بالتَّحدِّياتِ وعلى المُحاورِ أنْ يواجِهَهَا بكلِّ قوةٍ وثَبات، والأنبياءُ في ذلك يتَّبِعُونَ مِلَّةَ أبيهم إبراهيم عليه السلام الذي لقِيَ من أبيهِ ما لقِي وهدَّدَهُ بالرَّجْمِ والجَلْد: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[1]، فما زاد على أنْ قَالَ لأبيهِ: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[2].

يقولُ الشيخ السَّعديُّ في تعليقه على الآيات: وقد أَمَرَنَا اللهُ باتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيم عليه السلام، فمن اتِّباعِ مِلَّتِهِ: سُلوكُ طريقتِهِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ بطَريقِ العلمِ والحكمةِ واللِّينِ والسُّهولةِ، والانتقالُ من رتبةٍ إلى رتبةٍ، والصَّبرُ على ذلكَ وعدمُ السَّآمةِ منه، والصَّبرُ على ما ينالُ الدَّاعِي من أَذَى الخَلْقِ بالقولِ والفعلِ، ومقابلةُ ذلك بالصَّفحِ والعفوِ بلْ بالإحسانِ القوليِّ والفعليِّ.[3]

3) الرَّحمةُ والشَّفقةُ بالمُحَاوَرِ، والحِرصُ على إيصالِ الرِّسالةِ إليه، وإقناعُهُ بالحَقّ: الرَّحمةُ والشَّفقةُ عنصرانِ مُهِمَّانِ في عمليةِ الحوارِ، وهما جسرانِ بين المحاورِ والطَّرفِ الآخَرِ، ومفتاحٌ لِقلبِه وعقلِه، فمن رحمةِ المُحَاوِرِ المخلصِ أن يُظْهِرَ الحقَّ لخصمِهِ وَأَنْ يُبْدِيَ الشَّفقةَ والخَوْفَ عليه من البُعْدِ والضَّلالِ ومن أن تتفرَّقَ السُّبُلُ به، فالمُحَاوِرُ بِإِلْبَاسِهِ لِحِوَارِهِ لِباسَ الرَّحمةِ والشَّفقةِ يبتعِدُ بِحِوارِهِ من كُلِّ ما يُعَكِّرُ صَفْوَ العلاقةِ الموجودةِ بينَهُ وبينَ مُحاوريه كالقَسْوَةِ والغِلْظَةِ والفظاظةِ والشِّدَّة، ومن ذلكَ ما نَجِدُهُ عند إبراهيمَ عليه السلام عندمَا بَدَا عَلَيْهِ الخوفُ على أبيهِ بعدَ أنْ دَعَاهُ إلى عبادةِ اللهِ وحذَّرَهُ من عبادةِ الشَّيطانِ: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[4].

---

1) [مريم-46].
2) [مريم-47].
3) تفسير السعدي، ج 3، ص 206.
4) [مريم-44،45].

4) العِزَّةُ والثَّبَاتُ عَلَى الحَقّ: من مظاهرِ قُوَّةِ الدِّينِ والإيمانِ العزَّةُ والثَّباتُ على الحقّ، فالمُحَاوِرُ المُسْلِمُ يستمدُّ قوَّته من قوةِ الدِّينِ الذي يدِينُ به وعظمةِ الإيمانِ الذي يخالِطُ بشاشةَ قلبه، فيجدُرُ به ألاَّ يذِلَّ أو يهين، بل يعلُو بإيمانه وإن كان ضعيفًا في عَدَدِهِ وعُدَّتِه، فَلَيْسَتْ العِزَّة بالقوى المادية ولا بالمظاهر، كلاَّ بلْ بقوةِ القلبِ وصدقِ العزيمةِ وبتمكُّنِ الإيمانِ وثباتِ النَّفسِ على الحقّ.

ومن ذلكَ موقِفُ إبراهيمَ عليه السلام مع قومِهِ عندمَا حاجَّهُ قومَهُ وأخافُوهُ فثبت وَرَدَّ عليهم في ثقةٍ وأمنٍ واطمئنان: ﴿ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَآجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَّشَآءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا اَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمُ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالاَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ الذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ اُوْلَئِكَ لَهُمُ الاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1].

5) العِلْم: من الشُّروطِ المُهِمَّةِ لنجاحِ الحوارِ وتحقيقِ غايَتِه، فالمدافعُ عن فكرةٍ أو قضيةٍ يجبُ أَنْ يكونَ على عِلْمٍ ودِرَايَةٍ بها ومُقْتَنِعاً بها، والعِلمُ المقصودُ هو العِلمُ المتعلِّقُ بموضوعِ الحوارِ ومادَّتِه، والعِلْمُ كذلكَ بما يُنْقِضُ الرَّأيَ المخالفَ للصَّوابِ ومعرفةُ الرُّدودِ والأجوبةِ القويةِ التي يُمْكِنُ أن تواجهَ بها الشُّبُهاتِ والاعتراضاتِ التي يُثِيرُهَا الطَّرفُ الآخَر، وجَهْلُهُ قدْ يَطْعَنُ فِي أَهْلِيَتِه، والعِلْمُ يقتضي الموضوعيَةَ والبُعْدَ عن التَّعَصُّب.

ونَجِدُ هَذَا عند إبراهيم عليه السلام مع أبيهِ حينَ يقولُ: ﴿ يَآ أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَاتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا ﴾[2]، فالخليلُ عليه السلام لم يصِفْ أَبَاهُ بالجهلِ ولا نَفْسَهُ بالعلمِ الكامل فإنَّ ذلكَ يُنَفِّرُ النَّاسَ ويمنعُ الجليسَ من الاِئْتِنَاس، بل قال: إنّي أُعْطِيتُ شيئًا مِنَ العلمِ قليلاً و لم تُعْطَهُ ولاَ ضَيْرَ عليكَ في شيءٍ إن اِتَّبَعْتَ ابْنَكَ حتى يَهْدِيكَ إلى الصِّراطِ المستقيم، يا أبتِ هبْ أَنَّا سائرانِ في الطَّريقِ وأنا على علمٍ به أفلاَ يكُونُ من الخيرِ أنْ تتبعني حتى تَصِلَ إلى بَرِّ السَّلامة، وأنت أبي

1) [الأنعام-80،82].
2) [مريم-43].

على كلِّ حالٍ وأنا ابْنُكَ البَارّ، وهذا جَذْبٌ لأبيهِ لِيَصِلَ إلى الحَقِّ بطريقٍ سديدةٍ حقًّا، يُشَكِّكُهُ في اعتقادِهِ ثم يُلْمِحُ له بأنَّ الخيرَ في اتِّبَاعِه وترْكِ ما هُوَ عليه.[1]

6) البَدْءُ بالنِّقاطِ المشترَكَةِ وتحديدُ مواضعِ الاتِّفاق: بين كُلِّ متناظرَيْنِ مختلفيْنِ حدٌّ مشتركٌ من النِّقاطِ المتَّفَقِ عليها، والتي يلتقيانِ فيها والتي يُسَلِّمُ بِها الطَّرَفَان والتي تُعْتَبَرُ عِندهم كالمُسَلَّمَاتِ والبدِيهيَّات، ذلكَ أنَّ هذَا الأسلوبَ يُهَيِّئُ الطَّرفَ الآخرَ لقبُولِ الحقِّ ويُسَلِّمُ به كما أنَّهُ يقرِّبُ ويقللُ الفجوةَ التي قد تكُونُ بين الطَّرفين، ويُساعد على تحريرِ محلِّ النِّزاعِ وتحديدِ نقطةِ الخلاف، ويُفِيدُ في حُسنِ ترتيبِ القضايَا والتدرُّجِ في معالجَتِهَا، ويُساهِمُ في أن يكُونَ أساسًا لِبناءِ الحوار.

من الأمثلة حِوارُ إبراهيمَ عليه السلام لقومِهِ: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَالِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الاَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[2]، فهذه الأسئِلَةُ من إبراهيم عليه السلام فيها تَقْرِيرُهُم بقضايَا متَّفقٍ عليها، وهي بيانُ عجزِ الآلهةِ عن النَّفعِ والضُرِّ، ومن ثم يترتَّبُ على ذلك بُطْلاَنُهَا بل عَدَاوتُها وهُجرانُها وبيانُ المستحقِّ الوحيدِ للعبادةِ وهو رَبُّ العالمين.[3]

7) الدَّلِـــيل: الأدِلَّةُ من الضَّوابطِ التي يَجبُ أن يستصْحِبَها المحاور لِمَا لها من أهميةٍ بالغةٍ في توكيدِ وتقويةِ كلامِه ولإعطائهِ مِصداقيةً أكبر، فَهُوَ العضدُ المتينُ ليدافِعَ به عنْ رأيِهِ ويدْحَضَ به شُبَهَ المُفترينَ والمغْرضِين، وقَدْ يتعذَّرُ على الخصمِ فهمُ دليلٍ ما وقد لا يتَّضِحُ لهُ وجْهُ الدَّلالةِ فيه، كما أنَّهُ قد يَفْهَمُهُ ويُدْرِكُه لكنَّهُ يتعمَّدُ المُغَالَطَةَ وعدمَ الإذعانِ والتسليم، عندئذٍ على المُحاورِ أنْ ينتَقِلَ إلى دليلٍ آخرَ ويأتِي بمثالٍ أَوْضَح، لا يَجِدُ الخصمُ معه مفرًّا دُونَ الانقطاعِ أو التَّسْلِيم.

ومن أمثلةِ ذلك ما ذهبَ إليه بعضُ المفسِّرين في قِصَّةِ إبراهيمَ عليه السلام مع النّمرود التي قالَ الله فيها: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّــهِ أَنَ اتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّــيَ الذِي

1) الحوار في الإسلام، ص 78.

2) [الشعراء-69،77].

3) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 292،293.

يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَآ أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَاتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1]، ففي هَذِهِ الآيةِ يقدِّمُ إبراهيمُ عليه السلام دليلاً على أنَّ اللهَ هو الرَّبُّ ﷻ، وهذا الدَّليلُ هو أنَّ اللهَ يُحْيِي ويُمِيت، فعارضه النّمرود بِنَفْسِ دليلِهِ فَزَعَمَ أَنَّهُ كذلك يُحيي ويُميت مع الفارقِ العظيمِ والواضحِ بين ما يقصِدُهُ كُلٌّ منهُمَا فلمْ يَشَأْ إبراهيمُ عليه السلام أن يدْخُلَ في إبطالِ دليلِ خَصْمِهِ لأنَّهُ يعرفُ فسادَ هَذِهِ المعارضةِ لاختلافِ المقصودِ بالإحياءِ والإماتةِ عندهُما فانتقلَ لإلْزَامِهِ وإفْحَامِهِ وقَطْعِ لجاجته.

فلا يخلُو حالُ النَّمرود: إمَّا أنْ يكُونَ ما فَهِمَ حقيقةَ الإحياءِ والإماتة، أو أنَّهُ فَهِمَ لكنَّهُ قَصَدَ المُصادمةَ والمُباهتة، وكِلاهُما يوجِبُ العُدولَ إلى دليلٍ يفضحُ معارضَتَهُ ويقطع حِجَاجَهُ ومتى كانَ الخصمُ بِهَذِهِ الصِّفةِ جَازَ لِخَصمِهِ الانتقالُ إلى دليلٍ آخَرَ يكونُ أقْرَبَ إلى الفهم وأفْلَحَ للحُجَّة.

قال القُرطبيُّ في تفسيرِ الآية: وذكر الأصوليُّونَ في هَذِهِ الآيةِ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لَمَّا وَصَفَ ربَّهُ ﷻ بِمَا هو صِفَةٌ لهُ من الإحياءِ والإماتةِ لكنَّهُ أمرٌ له حقيقةٌ ومجاز، قَصَدَ إبراهيمُ عليه السلام إلى الحقيقةِ وفزَعَ النمرودُ إلى المجازِ وموَّهَ على قومِهِ فسلَّمَ لهُ إبراهيمُ وانتقل معه إلى الدَّليلِ الثَّاني وجاءَهُ بأمْرٍ لا مجازَ فيه: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ أيْ انقطعتْ حُجَّتُهُ ولم يُمْكِنْهُ أنْ يَقُولَ أنا الآتِي بِها من المَشْرِقِ لأنَّ ذَوِي الألبابِ سيُكَذِّبُونه.[2]

8) البَيَانُ والوُضُوح: إنّ قوةَ التَّعْبِيرِ وفَصَاحَةَ اللِّسانِ وحُسْنَ البيانِ وجَوْدَةَ العَرْضِ من عوامِلِ نجاحِ الحِوَارِ لِمَا لهُ من الأَثَرِ البَالِغِ في إيضاحِ الفِكرةِ وقُبُولِ الطَّرَفِ الآخَرِ لَها، وَرُبَّمَا ضَاعَ الحقُّ لِسُوءِ التعبيرِ عنْهُ وظَهَرَ البَاطِلُ لِفصاحةِ قَائِلِه وبلاغَتِه، فعلى المُحَاوِرِ الحَذِقِ أنْ يُجيدَ في ضبطِ كلامِهِ وإتقانِ إحْكَامِه، وأن يتجَنَّبَ غريبَ الألفاظِ والوحشيَّ من الكَلَام، وأن يعرِفَ مداخِلَ ومخارِجَ النَّفْسِ في الكَلَام.

---

1) [البقرة-258].

2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج 2، ص 186.

ومن النَّماذجِ القرآنيةِ التي جَمَعَتْ بين الدِّقَّةِ والوُضُوحِ والبيانِ مع الإسهابِ والتَّفْصِيلِ اللاَّزِمِ ما جاء في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه حيث قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾، فهَذِهِ بدايةُ الحِوارِ وتَظْهرُ فيهِ المُجاوبةُ والأَخْذُ والرَّدُّ ولكن أمامَ تَحجُّرِ هؤُلاَءِ القومِ وتصلُّبِهِمْ لم يَجدْ إبراهيمُ عليه السلام - عَلَى حِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ - إلاَّ أنْ يَهُزَّهُمْ بعُنْفٍ ويُعْلِنَ عداوتَهُ لأصنامهم وعقيدتِهم الفاسدةِ ويستثنِيَ ربَّهُ تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾.[1]

وقد قال في أكثر من موضعٍ بيانًا لموقفِهِ وتوضيحًا لعقيدتِهِ تِجَاهَ عِبَادَتِهِمْ ومعبُودَاتِهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا اٰلِهَةً اِنِّيَ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾.[2]

﴿ وَلَقَدَ اتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ التِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمُ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمَ انتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ ۞ قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ الذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَالِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾.[3]

9) الرَّدُّ على الشُّبَهِ بِمَا يُنَاسِبُهَا: يلجأُ الخصمُ المعاندُ لِطَرْحِ بعضِ الشُّبَهِ لِلإعراضِ عن الحقِّ أو للتَّلبيسِ على مُحاوِرِهِ أو لتضييعِ الوَقْتِ والهروبِ من الحوارِ والمناقشة، فتكُونُ هَذِهِ الشُّبَهُ عائقًا أمامَ اقتناعِ الخصمِ وإذعَانِه، لذلكَ فلابُدَّ من قُوَّةٍ وصرامةٍ في مقابلةِ الشُّبَهِ التي يطرَحُهَا الخصمُ، كما أَنَّهُ لابدَّ من مواجَهَتِهِ بِمَا قد يكونُ عنده من شُبَهٍ تُعْرَفُ عنه حتى ولو لم يُصَرِّحْ بها، فعلى المُحاوِرِ التَّفطُّنُ إلى شُبَهِ خَصْمِهِ ومُقَابلتُهَا بالرَّدِّ المُنَاسِبِ ، فقد رَدَّ إبراهيمُ عليه السلام على قومِهِ حينَ خوَّفُوهُ ما أشْرَكُوا بِهِ فَقَال :﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمُ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ

1) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 332.

2) [الأنعام-74].

3) [الأنبياء-51،56].

يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]، فلقد كانتْ حُجَّةُ إبراهيمَ عليه السلام قويَّةً حين قابلَ تخويفَهُمْ لهُ بآلهتهم بتَخْويفِهِم من اللهِ عز وجل الذي جعَلُوا له الشُّرَكَاءَ والأندادَ من غير حُجَّةٍ ولا سُلطان، ثم طَرَحَ عليهم ذلك السُّؤالَ المُحرج، سؤالَ المؤمنِ الواثقِ الذي يبيِّنُ أنَّ الذي يستحِقُّ الأمنَ والاطمئنانَ هو فريقُ المؤمنينَ، وأنَّهُ إن كان أحدٌ قمينًا بالخوفِ فليْسَ هو إبراهيمُ عليه السلام المؤمنُ المرسلُ من ربِّه، وإنَّمَا الذي يُشْرِكُ باللهِ ما لاَ سلطانَ له ولا قُوَّة.[2]

قال الزمخشري: وكيف أخافُ شيئًا مأمونَ الخوفِ لا يتعلَّقُ بهِ ضَرَرٌ بوجْهٍ، وأنتم لا تخافُونَ مِمَّا يتعلَّقُ به كُلَّ مُخَوِّفٍ وهو إشراكُكُمْ باللهِ ما لم يُنَزِّلْ بإشراكِهِ " سُلْطَانًا " أي: حُجَّة، لأنَّ الإشراكَ لا يَصِحُّ أن يكُونَ عليه، كأنَّهُ قال: وما لكُمْ تُنْكِرُونَ عليَّ الأَمْنَ فِي موضعِ الأمنِ ولا تُنْكِرُونَ على أنفسكم الأمنَ في موضعِ الخوف.[3]

10) العُدُولُ عن الإجابةِ باستخدامِ المعاريضِ وأُسلوبِ الحكيم: قد يكُونُ الخصمُ مُجادِلاً يهوى المراءَ والكلام، وقد يَقْصِدُ إضاعةَ الوقتِ والتَّهرُّبِ من مواجهةِ الحوارِ الجادّ، وقد يُلْقِي أسئلةً لا تُفيدُ شيئًا في الحِوَار، أو قَدْ يكُونُ في الإجابةِ على أسئِلَتِهِ ما يَحُولُ بينه وبين الوُصولِ إلى النَّتيجَة. عند مثلِ هَذِهِ الظُّروفِ ونَحْوِهَا يَضْطَرُّ المُحاوِرُ إلى أَنْ يَعْدِلَ بخصْمِهِ عنِ الجوابِ المُباشِرِ للسُّؤَالِ المطْرُوحِ إلى جوابٍ مفيدٍ مُهم، وذلكَ باستخدامِ أُسْلُوبِ الحَكِيمِ المعْرُوفِ عندَ العرب والذي جَاءَتْ أمثلةٌ له في الكِتَابِ والسُّنَّةِ مِرارًا أو باستعمالِ المعاريضِ والتَّوْرِيَةِ في الكَلاَمِ بِحَيْثُ يفهَمُ السَّامِعُ شيئًا غير ما يقْصُدُهُ المتكلم.[4]

ومنْ ذلكَ ما ذَكَرَهُ اللهُ عز وجل عن إبراهيمَ عليه السلام بعد أنْ حَطَّمَ أَصْنَامَ قَوْمِهِ إلاَّ كَبيرًا لهم فَتَرَكَهُ فلمَّا سألوه عن ذلك: ﴿ قَالُواْ ءَآنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِئَالِهَتِنَا يَآ إِبْرَاهِيمُ ﴾[5]، كان جَوَابُه: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

1) [الأنعام-81].
2) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 352،353.
3) الكشاف، ج 2، ص 32.
4) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 374.
5) [الأنبياء-62].

كَبِيرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾[1]، قال الزمخشري عند هذه الآية: هَذَا مِنْ مَعَارِيضِ الكَلاَمِ ولطائفُ هَذَا النَّوْعِ لاَ يتغلغَلُ فِيهَا إلاَّ أذهانُ الرَّاضَةِ من علماءِ المعاني والقوْلُ فيه: إنَّ قَصْدَ إبراهيم عليه السلام لم يكُنْ إلى أنْ يَنْسِبَ الفِعْلَ الصَّادِرَ عنه إلى الصَّنَمِ، وإنّما قَصَدَ تقريرَهُ لنفسهِ وإثباتَهُ لها على أسلوبِ تعريضٍ يَبْلُغُ فِيهِ غَرَضَهُ من إلزامِهِمْ الحُجَّةَ وتبْكِيتِهم وهذا كمَا لو قالَ لَكَ صاحِبُكَ: أَأَنْتَ كتبتَ هَذَا ؟ – وقد كتبت كتابًا بخَطٍّ رَشِيقٍ وأنْتَ شهيرٌ بِحُسْنِ الخَطِّ، وصاحِبُكَ أُمِّيٌ لاَ يُحْسِنُ الخطَّ - فقُلْتَ له: بَلْ كَتَبْتَهُ أنْتَ، كَأَنَّ قَصْدَكَ بهذا الجوابِ تقريرَهُ لِنَفْسكَ معِ الاستهزاء، لا نفيَهُ عَنْكَ وإثباته للأُمِّي، لأنَّ إثباتَهُ - والأمْرُ دائِرٌ بينكُمَا - للعَاجزِ مِنْكُمَا استهزاءٌ به وإثباتٌ للقادر.[2]

وأيضًا قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[3] قال ابن كثير في الآية ما ملخصه: إنّ معنى سقيم: أي ضعيف،... ثم ذكر تخريجات المفسرين لمعنى: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ حيث قال بعضهم: أي مريض بالنِّسبة إلى ما يستقبلُ يعني مرض الموت، وقيل أراد ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أي مريضُ القلبِ من عبادتِكُم الأوثانَ من دون الله تعالى.[4]

وقال سيد قطب: قال ذلك معبِّرًا عن ضَيْقِهِ وتَعَبِه، وأفصحَ عنه لِيتركُوهُ وشأنَه، ولم يكن هذا كذبًا منه وإنما كان له أصلٌ في واقع حياته في ذلك اليوم، وإنّ الضيق لَيُمْرِضُ ويُسْقِمُ ذويه.[5]

12) التَّلَطُّفُ في العبارَةِ والتزامُ القولِ الحَسَن، والبُعْدُ عنِ الطَّعْنِ والتَّجْرِيح: أمرَ اللهُ بدعوةِ النَّاسِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، وتتجلَّى هذه الدَّعوةُ في حسنِ مُناداةِ الطَّرف الآخَرِ بما يُحِبُّه، فاستعمالُ الأساليبِ الجميلةِ والعباراتِ اللطيفةِ والكلماتِ العذبةِ المؤدِّيةِ للمعنى على أكملِ وجهٍ لتضييقِ الهُوَّةِ الواسعةِ وتحطيمِ الحواجزِ القويَّةِ وتليينِ القلوبِ القاسية، فالمُحَاوِرُ الذَّكِيُّ العاقلُ

---

1) [الأنبياء -63].

2) الكشاف، ج 2، ص 577.

3) [الصافات-88،89].

4) تفسير ابن كثير، ج 4، ص 13.

5) في ظلال القرآن، ج 5، ص 2993.

يناقشُ بتلطُّفٍ وأناةٍ وأدب، وطلاقةُ اللِّسانِ مع كثرةِ الكلامِ تحتاجُ إلى عقلٍ واعٍ يُحدِّدُ مواقعَ الكلامِ ومواطنَ اللَّفظ، فيختارُ الحديثَ المناسبَ للمجالِسِ المناسبةِ وينتقِي أطايبَ الكلامِ على قَدْرِ الرِّجال، والعباراتُ الجميلةُ دليلٌ على الشَّفافيةِ وحُسْنِ الانتقاء، وقد تأدَّبَ الأنبياءُ بِهَذَا الأدبِ في خطابِهِمْ لأقوامِهم في تودُّدٍ وسماحةٍ لاستثارةِ مشاعرهم، ونجدُ هذا الأدبَ في خطابِ إبراهيم عليه السلام إلى أبيه، فهو يحاولُ أن يَهْدِيه إلى الخيرِ الذي هَدَاهُ اللهُ إليه وعلَّمه إياه وهو يتحبَّبُ إليه فيخاطبه بـــ: ﴿ يَآ أَبَتِ ﴾ ومن ثم يسأله: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾.[1]

13) أَدَبُ السُّؤَال: تَعْرِضُ في خِضَمِ الحوارِ الدَّائرِ بينَ المتحاورَيْنِ أسئلةٌ تزيدُ الأمرَ إيضَاحًا أو تُذَكِّرُ بدَليلٍ أو تُنَبِّهُ إلى قضية، ولذلك يَجبُ على كُلٍّ من المُتحاورَيْنِ أن يتعلَّمَا أدبَ السُّؤَال، وللسُّؤَالِ أغْرَاضٌ منها أن يَكُونَ للتَّعرفِ على المحاور وأحوالِه ومَنْزِلَتِه وعِلْمِه، ويكونُ القصدُ منه الوصولُ إلى معلومةٍ مهمةٍ أو أمرٍ ينفعُ في ترتيبِ المعلومات، وأحيانًا يكونُ الغَرَضُ منه مراجعةُ الطَّرفِ الآخَرِ في معلومةٍ ونحوها حتى تتبيَّنَ جوانبُ الموضوعِ ومُلاَبَسَاتُه، وأحيانًا يكونُ الغرضُ منه الإنكارُ على الخصمِ وَزَجْرُه.[2]

وأحيانًا يكونُ الاستفهامُ تقريريًا بأن يكون عن مقدماتٍ بينةٍ برهانيةٍ وحقائقَ مؤكدةٍ لا يمكنُ لأحدٍ أن يَجْحَدَهَا وتدُلُّ على المطلوبِ إثباتُهُ وتُقَرِّرُ الخصمَ بالحَقِّ والاعترافِ بإنكارِ الباطل، كلُّ هذا حتى ينضبطَ الحوارُ ويتسمَ بِحُسْنِ الأدبِ وطيبِ المقال، وكما قيل: أدب السائل أنفع من الوسائل.

ولقد استعملَ الرُّسلُ مع أقوامِهم أسئلةً كثيرةً لمثلِ هذا الغرض، أي إنكارًا على القومِ وتبكيتًا لهم وإلزامًا لهم بالحجَّةِ وقطعًا لباطلِهِمْ ودحضًا لشبهاتهم، كما قال إبراهيمُ عليه السلام لقومه في سؤالِهِ عن الأصنامِ التي يَعْبُدُون: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾.[3]

---

1) [مريم-42].

2) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 452،453.

3) [الشعراء-72،73].

14) ذِكْرُ الْمُبَرِّرَاتِ عند الاعْتِرَاض: قد يُنكرُ المحاورُ قولاً أو فعلاً ويعترضُ على دليلٍ أو شبهةٍ فلابدَّ من بيانِ أسبابِ الاعتراضِ وتوضيحِ مبرراتِ ذلك الإنكار. والمحاورُ العاقلُ لابدَّ أن يحترمَ الآراءَ، فإذا أنكرَ فبأدبٍ وإذا اعترضَ فَبِسَبَب، وإذا استدْرَكَ على خصمِهِ فبلباقةٍ وحُسْنِ أداء، فإنَّ ذلكَ مِمَّا يُساعدُ النُّفوسَ على التنازلِ عن آرائِهَا القديمةِ والتَّجردِ في النَّظَرِ إلى الطَّرفِ الآخَرِ.[1]

فهذا إبراهيمُ عليه السلام لَمَّا أرادَ دعوةَ قومه إلى توحيدِ ربِّ العالمين، وأنكر عليهم عبادة الأصنام والتماثيل أعلن عن عداوته لها مبررًا لهم ذلك فقال: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[2]، فهذه مبرراتُ تركِ هذه الآلهةِ وعَدَاوَتِها، أمّا مبرراتُ وأسبابُ توحِيدِهِ وعبادتِه لِرَبِّهِ فبيَّنَهَا بعد ذلك بقوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالذِي أَطْمَعُ أَنْ يَّغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾.[3]

15) التَّذْكِيرُ والوَعْظ: على المحاورِ أثناءَ تبيينِهِ للأدلَّةِ وعرضِهِ للقضيَّةِ أن يمزجَ معها شيئًا من التذكيرِ ولونًا من المواعظِ المُؤَثِّرة، فهي التي تطرقُ القلوبَ كما تطرقُ الأدِلَّةُ العقول، وإذا ما نَجَحَ المُحَاورُ في هَذَا، فستتهيَّأُ نفسيةُ الخصمِ لقُبُولِ الحقِّ وتبتعد عن الكِبْرِ والعِناد، فإبراهيمُ عليه السلام قد استخدمَ هَذَا الأسلوبَ في حِوَارِه مع قومه في سورة العنكبوت: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الاَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الاَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىا كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَّشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الاَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ۞ وَالذِينَ كَفَرُوا بِئَايَاتِ اللَّهِ وَلِقَآئِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴾.[4]

---

1) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 459.

2) [الشعراء-72،73].

3) [الشعراء-77،82].

4) [الشعراء-18،23].

▪ المبحث الثالث: الدُّروسُ المستفادةُ من الحِوارِ في قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن

1) إبراهيمُ عليه السلام صاحبُ القلبِ الكبير: إذا أردنا أن نُطْلِقَ على إبراهيمَ عليه السلام وصفاً، فقد لا نجدُ تعبيراً أدقَّ وأفضلَ من وصفِهِ بصفةِ القلبِ الكبير، هذا القلبُ الذي كان آيةً في الرِّقَةِ والعطفِ والسَّلامةِ من الحقد والخصال الذميمة، وكيف لا يحملُ إبراهيم عليه السلام مثل هذا القلبِ وهو الدَّاعي إلى سلامةِ القلب: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنَ اَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

قولٌ رائعٌ لا ترتقي إلى سُمُوِّهِ أيَّةُ نظريةٍ فلسفيةٍ ولا يسمُو عليه أيّ مذهبٍ أخلاقي، لأنّه يحدِّدُ لِبَنِي الإنسانِ الغايةَ التي يجبُ أن يضعُوهَا نُصْبَ أعينهم في سبيلِ السُّمُوِّ الإنسانيِّ والسَّعادةِ الأبديةِ، ألاَ وهي الاعتناءُ بسلامةِ قلوبِهِمْ وتطهيرُهَا من الشُّرورِ والآثام.

إنّ موطنَ العظمةِ في إبراهيم عليه السلام هو قَلْبُهُ الكبيرُ الذي وسِعَ الناس جميعًا، لأنّه نذر نفسه في سبيل إسعادهم سواء أكانوا أقرب الناس إليه نسباً أم كانُوا لا يَمُتُّونَ إليه بصلة القُربى، فهو حريصٌ على إيصال الخير لهم وتخليصهم من عبادة الأصنام التي فشت فيهم، تلك العبادةُ التي كبّلَت عقولهم وجعلتهم فريسةً للخرافات، تلك العبادةُ التي تُغْضِبُ اللهَ الواحدَ الديَّانَ بسببِ الانصرافِ عن عبادته إلى عبادةِ جماداتٍ لا تعِي ولا تسمع.

فقلبُ إبراهيمَ عليه السلام الكبيرُ لا يُطِيقُ رُؤْيَةَ والدِهِ يَتِيهُ في الضَّلالِ وعبادةِ الأصنام، فيسعى عليه السلام إلى هدايته بالعقلِ والمنطق، ولكنَّ هذا الوالدَ الذي تحجَّرَ عقله يقابلُ إبراهيمَ عليه السلام بالوعيدِ والتَّهديدِ بالرَّجم فيجيب هذا الابن: ﴿ قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[2]. إنَّ استغفارَه لِوَالِدِهِ بعد أن تلقَّى تهديدَهُ لَينمُّ عن قلبٍ كبيرٍ ينبُضُ بالحُبِّ والعطفِ والحنان.

وقلبُ إبراهيمَ عليه السلام الكبيرُ يَتَّجهُ أيضًا نحو بنيه، فهو يبتهلُ إلى الله أن يُجَنِّبَهُمْ عبادةَ الأصنام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُــدَ الاَصْنَامَ ﴾[3].

---

1) [الشعراء-89].
2) [مريم-47].
3) [إبراهيم-35].

وقلبُ إبراهيمَ عليه السلام الكبيرُ يحنُو أيضًا على ذريته التي تربطه بهم رابطةُ الدَّم، فقد أحبَّ لهم الرفعة والخير حبًّا ملك عليه مشاعره، حتى أنّه حين منحه اللهُ الإمامةَ لم يقنع أن يستأثر بهذه المزيةِ وحْدَهُ فدعا ربَّهُ أن يُنْعِمَ بها كذلك على ذريته: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[1].

وقلبُ إبراهيمَ عليه السلام الكبيرُ يدفعُهُ أن يسألَ اللهَ أنْ يَجْعَلَهُ مقيمَ الصلاةِ وهي أهمُّ ما يتقرَّبُ به الإنسانُ إلى ربِّهِ ثم لا يكتفي بذلك بل يُشْرِكُ معه أيضًا ذريته في الدُّعاء: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴾[2].

وقلبُ إبراهيمَ عليه السلام الكبيرَ يحنو على قومه على الرغم مما لحقه منهم من أَذًى وهُجْرَانٍ فهو لا يطلُبُ لمن يَعْصِيهِ الهَلاَك ولا يستعْجِلُ لهم العذاب، إنّما يَكِلُهم إلى غُفْرانِ اللهِ ورحمته: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وقلبُ إبراهيمَ عليه السلام الكبيرُ لا يحتمِلُ أن يقعَ العذابُ على أحدٍ ولو كانَ مِمَّنْ يستحِقُّ ذلك، فهاهُم الملائكةُ يأتون ليُنْزِلُوا العَذَابَ بقومِ لوطٍ عليه السلام فتهتزُّ لذلك أوتارُ قلبِ إبراهيمَ عليه السلام لِمَا سيُصِيبُ القومَ فَيُجَادِلُ ربَّه لعلَّهُ يحظى بالرَّحمة منه لهؤلاءِ العُصَاة: ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ اَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾[4].

2) درسٌ في الشَّجَاعة: إنَّ في حياةِ إبراهيمَ عليه السلام درساً في الشَّجاعةِ والإقدامِ والاستماتةِ في سبيلِ المبدأِ والعقيدة، فإبراهيمُ عليه السلام يَقِفُ وجهًا لوجهٍ أمامَ قومِهِ الذينَ فَشَتْ فيهم عبادةُ الأصنام، يسفِّهُ معتقداتهم ويدعُوهُم بالحجَّةِ والبُرهانِ إلى تَرْكِ عِبَادَتِها ولكن ما أشَقَّهَا من دعوة، فإنَّهُ لا شيءَ أصْعَبُ على الإنسانِ من تغييرِ معتقداتِهِ المورُوثَةِ التي حلّت في نفسِهِ مكانَ التقديسِ والإجلالِ ولا شيءَ يُثِيرُ غَضبهُ أكثرَ من تسفيهِ معتقداتِهِ ولهذا كانت مهمةُ إبراهيمَ عليه السلام شاقَّةً

---

1) [البقرة-124].
2) [إبراهيم-40].
3) [إبراهيم-36].
4) [هود-74،75].

تحتاجُ إلى شجاعةٍ وصبرٍ لتلقِّي نقمةِ قومِهِ التي كانَتْ أوَّلُ بوادِرِهَا من والدِهِ: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[1].

لم يجد إبراهيم عليه السلام من قومه آذانًا صاغيةً لدعوته بل وجد إعراضاً وعداوةً وهجرانًا، فلم يُثْنِهِ ذلك عن قصْدِه، ولم يدخُل الوَهَنُ إلى قلبه بل أَشْهَرَ في وجوه قومْهِ سِلاَحًا أمضَى وأقوىَ سلاحًا يُدَمِّرُ معتقداتهم ويزلزلُ بُنْيَانَ مقدّساتهم إنّه سلاحُ مقاومةِ الباطلِ باليدِ وهو أَشَدُّ أثرًا من مقاومةِ الباطلِ بالقولِ الذي لم يجد مَعَهُم نفعًا إنَّهُ السِّلاحُ العمليُّ الذي حَطَّم به أصنامهم، إنَّ نتيجةَ هذا العملِ واضحةٌ للعيان: إمَّا موتُهُ المحقَّق، وإمَّا إقناعُ قومِهِ بترْكِ عبادةِ الأصنام.

طريقةٌ فذَّةٌ أراد أن يُظْهِرَ بِهَا إبراهيمُ عليه السلام لقومه أنَّ معبوداتهم لا تسمعُ ولا تُبصِرُ ولا تتكلَّم، فعندما سُئِلَ إبراهيمُ عليه السلام عن الفاعلِ أَجَابَ: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾[2]، لقد فجَّر هذا العملُ نِقْمَةَ قومِهِ فحاكَمُوهُ وأصدَرُوا حُكْمَهُم عليهِ بالموتِ حَرْقًا، ولكنَّ إبراهيمَ عليه السلام لم يَجْزَعْ ولم يُصَبْ بانهيارٍ يُفْقِدُهُ وَعْيَه، بل وقفَ أمامَ الجَمْعِ الهادِرِ من قومِهِ مُطْمَئِنًا إلى مَصِيرِهِ تغمُرُهُ الثِّقَةُ بالله.

3) التَّضحيةُ بالنَّفسِ والوَلَدِ في سبيلِ الله: التَّضحيةُ التي أَمَرَ اللهُ بِهَا إبراهيمَ عليه السلام وهي ذبْحُ ابنه إسماعيلَ عليه السلام واستجابةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السّلام لهذا الأمر الإلهيِّ عن رضًا وطيبِ نفسٍ هُمَا من أعظم الحوادثِ وأَجَلِّهَا في تاريخِ التضحياتِ، فإبراهيمُ عليه السلام الحريصُ على الذُّريةِ والذي رُزِق بعد لأْيٍ بولدٍ وهو في سنِّ الشَّيخوخة، هذا الولدُ الذي هو مُهجةُ قلبِهِ وأملُ حياتِهِ يأمرُهُ اللهُ أنْ يُضَحِّيَ به ليمتحِنَ إيمانَهُ ويرى مبلغَ استجابَتِه لأمرِهِ، حدَّث إبراهيمُ عليه السلام ابنَهُ في هذا الشَّأنِ ويكادُ قلبه ينخلِعُ منَ الحُزْنِ فيجيبه إسماعيلُ عليه السلام: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُومَرُ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[3]، إنَّ القَلَمَ لَيَعْجزُ عن وصفِ مضمونِ هذَا القولِ الذي يتمثَّلُ فيه الرِّضى التَّام بتضحيةِ النفسِ في سبيلِ الله، تضحيةٌ من وجهين: تضحيةُ الوالدِ بولده، وتضحيةُ الولدِ بنفسه.

---

1) [مريم-46].

2) [الأنبياء-63].

3) [الصافات-102].

هَذِهِ هي أَرْفَعُ صورِ الإيمانِ وأجلُّها في تاريخِ الإنسانية، فليس الإيمانُ ادِّعَاءَاتٍ تَلُوكُهَا الأَلْسُن، وليس الإيمانُ تسليةً للأحزانِ لفترةٍ ما، بل الإيمانُ هو الاندماجُ الكليُّ في إرادةِ اللهِ بالعملِ بِوَصَايَاهُ وأوامرِهِ، والتضحيةُ بِكُلِّ غالٍ ونفيسٍ في سبيله.

4) إبراهيمُ عليه السلام الابنُ البارّ: أَبُو إبراهيمَ عليه السلام كان يعبدُ الأصنام بل كان مِمَّنْ ينحتها، وهو أقربُ النّاس إلى إبراهيمَ عليه السلام وألصَقُهُم به وأولاَهُم بالهدايةِ وأجدَرُهُم بإخلاصِ النصيحةِ له، فمن البِرِّ به أن يهديَهُ سواءَ السَّبيل، وكونُ آزر من الناحتينَ للأصنامِ والدَّاعينَ إلى عبادتِها فهو إذن داعيةُ إثمٍ ومبعثُ فتنةٍ فهدايته قُرْبَى عظيمةٌ إلى الله، واستئصالٌ لبذور الشرِّ واجتثاثٌ لجذور الضلال، ولهذا جَدَّ ابنه إبراهيمُ عليه السلام في دعوته.

وفي تصديرِ نصائحهِ عليه السلام لأبيه بقوله: ﴿ يَآ أَبَتِ ﴾ أي بِلَفْظِ الأُبُوَّةِ التي هِيَ أَقْوَى الرَّوابطِ وأوثَقُهَا، ويُعتبر ذلك استهلالاً جذَّاباً يستميلُ به قلبَ أَبيهِ ويكْسِرُ حِدَّته حَتَّى يستطيعَ تبليغَهُ رسالةَ اللهِ ويُقِيمُ عليه الحُجَّة أمامهُ وهو هَادِئٌ غيرُ ثائِر، وهذا الأسلوبُ أَدْعَى لاستماعِهِ وطريقٌ لانتفاعِه.

ولم يَصِفْ إبراهيمُ عليه السلام أَبَاهُ بالجهلِ ولا وَصَفَ نفسَهُ بالعلمِ الكاملِ لأنَّ ذلك ممّا ينفِّر بل قال له: إنّي قد أعطيت شيئًا من العلم قليلاً ولم تُعْطَه، ولا ضيرَ عليكَ في شيءٍ إنِ اتّبعتني فإنَّك بهذا اتَّبَعْتَ ابنكَ حتى يهديكَ إلى الصِّراطِ المستقيم، وإضافةً إلى هَذَا فهو عليه السلام لم يَنْسِبْ العلمَ إلى نفسه إنّما ردَّه إلى الذي هَدَاهُ إليه وهُوَ الله سبحانه وتعالى.

5) ضِيافةُ إبراهيمَ عليه السلام للملائكةِ المُبَشِّرين: يُسْتَدَلُّ من قولِه سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَمًا ﴾[1] على أنَّ السَّلامَ الذي هو تحيَّةُ الإسلامِ هو تحيَّةُ الملائكةِ أيضًا، وكذلك أخْبَرَنا اللهُ أنَّها تَحِيَّتُهُمْ لعبادِهِ المؤمنينَ في الآخِرَة.

إنَّ الكَرَمَ من خُلُقِ الأنبياءِ المرسلينَ وعبادِ اللهِ الصَّالحين، فهذَا إبراهيمُ عليه السلام يُعْطِينَا القُدْوةَ في الكَرَمِ والسَّخَاء، فالآياتُ الكريمةُ أخبرتْ أنَّهُ عليه السلام كان في غايةِ الكرمِ لضُيُوفِهِ مع أنَّهُ لا يَعْرِفُهُم من قبل، ويدلُّنا على غَايَةِ كَرَمِهِ ما يلي:

---

1) [هود-69].

- إحضارُهُ الطَّعامَ بِسُرْعَة ومن حيث لا يشعرون، وَدُونَ أن يسألَهُم هلْ يأتِي بالطَّعامِ أَمْ لا، ويَدُلُّ على هذا قوله ﷻ: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[1]، فالفاءُ في قوله (فَمَا لَبِثَ) للدَّلالةِ على التَّعقيبِ إِسْرَاعًا في إِكْرَامِ الضَّيفِ، وكذلك قولُهُ ﷻ: ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَاكُلُونَ ﴾[2] يدلُّ على إِسْرَاعِهِ في إحضارِ الطَّعام، إذ أنَّ الفاءَ جاءت هنا لعطف الأفعال: (فَرَاغَ، فَجَاءَ، فَقَرَّبَهُ) لِتَدُلَّ على أنَّ هذه الأفعالَ وقعتْ في سرعة، وقوله: (فَرَاغَ) - الذي معناهُ أنَّهُ انْسَلَّ في خِفية - يدُلُّ على أنَّهُ أَتَاهُمْ بِهِ من حيثُ لاَ يشعُرُون.

- ويدُلُّ على كَرَمِهِ أيضًا أنَّهُ جَاءَهُمْ بِأَفْضَلِ ما عِنْدَهُ فقدَّمَ إليْهِمْ عِجْلاً سَمِينًا، كما أنَّهُ قَرَّبَ الطَّعَامَ إليهم فلم يَضَعْهُ وقال اقْتَرِبُوا، بل وَضَعَهُ بين أَيْدِيهِم، وَهَذَا من آدابِ الزِّيادةِ في الكَرَمِ أيضا.

- ومن أَدَبِهِ في ضِيافَتِهِم أنّه لم يَأْمُرْهُم أمراً يشُقُّ على سامعه بصيغةِ الجزْمِ فلم يقل: كُلُوا، بلْ قال: ﴿ أَلاَ تَاكُلُونَ ﴾، على سبيلِ العرضِ والتَّلَطُّفِ وهذَا بِلاَ شَكٍّ زيادةٌ في الإكرامِ مع تَمْكِينِ الضَّيفِ من الطَّعام.

- ونُلاحظُ أنّه نَظَرَ في ضُيُوفِهِ بعد تقريبِ الطَّعامِ إِلَيْهِمْ هَلْ أَكَلُوا أَمْ لاَ، وهذَا كذلكَ من أدبِ الضِّيافة، إِذْ أنَّ عَلَى صَاحِبِ البيتِ أن ينظُرَ في ضَيْفِهِ هَلْ يأكُلُ أَمْ لاَ، وذلك ينْبَغِي أَنْ يكُونَ بتلفُّتٍ ومسارقة، لا بتحديدِ النظر فإنَّ تحديدَ النَّظرِ مِمَّا يُزْعِجُ الضَّيفَ ويُحْرِجُه.

---

1) [هود-69].

2) [الذاريات-26،27].

خاتمة

في نهايةِ حَدِيثِنَا عن هذا الحوارِ المتنوِّعِ في قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم نكُونُ قد خرجْنَا منه بحصيلةٍ كبيرةٍ في أسلوبِ الدَّعوةِ إلى الله عز وجل في الجوانبِ الحيويةِ للعمل الإسلامي، ولا يفوتنا – ونحن نختمُ الحديثَ – أن نُشِيرَ إلى شخصيةِ إبراهيمَ عليه السلام الرَّائعةِ المرتبطةِ بالله بشكلٍ يجسِّدُ الشُّعورَ بهذه الرَّابطةِ فتراهُ يُثيرُهَا في القضايَا الصَّغيرةِ والكَبيرَة، لِيُحِسَّ الإنسانُ بأنَّ اللهَ معهُ في كلِّ شيء، في طعامِهِ وشرابِهِ وفي حياتِهِ وموتِهِ وفي مَرَضِهِ وعَافِيَتِهِ وفي دُنْيَاهُ وآخِرَتِه، فَيَشْعُرُ بالحاجَّةِ الماسَّةِ إلى الاستعانةِ باللهِ في كلِّ شيء، لاسِيَّمَا عندمَا يتحرَّكُ في الأعمالِ الرِّسَالِيةِ التي تحتاجُ إلى بذلِ جُهدٍ وتضحيةٍ واستشهاد، ولعلَّهَا هي التي جعلتْ إبراهيمَ عليه السلام يقتحمُ كُلَّ المواقفِ التي واجهتهُ في حياتِهِ بقوَّةٍ واطمئنانٍ دونَ أنْ يَعرفَ الخوْفُ إلى قَلْبِهِ سبيلاً.

ويمكنُ أن نبينَ أهمَّ النتائجِ التي انتهينا إليها في البحثِ فيما يلي:

- للحوارِ في القرآنِ الكريمِ أهميةٌ بالغةٌ لِمَا لِقَوَاعِدِهِ وأساليبِهِ وآدابِهِ من أثرٍ كبيرٍ في سبيلِ الدَّعوةِ إلى الله.

- الحوارُ نتيجةٌ إيجابيةٌ لاختلافِ وتنوُّعِ الأفكارِ والآراءِ على مرِّ العُصُورِ والأزمان، وهو أداةُ وعيٍ ذاتُ أهميةٍ بالغةٍ تتكوكبُ فيهِ الآراءُ وتُستعرضُ فيهِ الأفكارُ والتَّوجُّهات، كما أن له أهدافاً جليلةً من أهمها: الدَّعوةُ إلى اللهِ، والحِوارُ مع أهلِ الباطلِ لبيانِ انحرافهم، والرَّدُّ على شُبُهَاتِهِم وَمَزَاعِمِهِم، وكَذَا تثبيتُ المؤمنينَ وزيادةُ يَقِينِهِم على الدِّينِ الحقّ، وغيرها. وللحوارِ غاياتٌ عديدةٌ أهمُّهَا إقامةُ الحُجَّةِ ودفع الشُّبهةِ والفَاسِدِ من آراء المتحاوِرَيْن.

- اشتمالُ قصصِ إبراهيمَ عليه السلام على أنواعٍ متعدِّدَةٍ من الحواراتِ تميَّزَ كُلٌّ منهَا بخصائصَ ومسائلَ مختلفةٍ عنْ بعضِهَا. فالقصصُ التي تحتوي حواراتِه وردتْ ثلاثةَ عشرَ مرَّةً في عشرِ سُوَرٍ

مختلفة. وقد انْقَسَمَتْ جميعُهَا حسب أجناسِ المتحاورين إلى ثلاثةِ أقسام وهي: بين اللهِ وأحدٍ من خلقِه، بين مؤمنٍ وكافر، بين المؤمنينَ من الإنسِ والملائكة.

- تعدُّدُ موضوعاتِ الحوارِ في قصصِ إبراهيم عليه السلام بحسبِ المواقفِ والأحوالِ وبحسبِ المتحاورينَ أيضًا، فقد اشتملَ إجمالاً على الموضوعاتِ التالية: الدَّعوةُ إلى توحيدِ اللهِ بالعبادة، وتنفيذُ الابتلاءِ الموجَّهِ إليهِ من ربِّهِ بِذَبْحِ ابْنِهِ إسماعيل، وإثباتِ البعثِ والنُّشور، والتَّذْكِيرُ بعظمةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وقُوَّتِه.

- تَنَوُّعُ أساليبِ الحوارِ في قصصِ إبراهيمَ عليه السلام، فلم يَثْبُتْ عليه السلام على أسلوبٍ واحِدٍ مما قد يُؤَدِّي إلى المَلَلِ والكَرَاهَة، بل تنقَّلَ بين عِدَّةِ أساليبَ فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ نَرَى أسلوباً جديداً مُخْتَلِفاً ورصيداً إيمانياً عظيماً، وهَذِهِ الأساليبُ مجموعةٌ فِي مَا يلي: الاستدلالُ، والوعظُ والتذكيرُ والترغيبُ، والتَّحدِّي والإفحامُ وإقامةُ الحُجَّة، التَّدرُّجُ والبدءُ بالأهَمّ، وتوقُّعُ المخالفةِ برغمِ الإقناع، وتقديرُ الخَصْمِ واحْتِرَامُه، والسُّؤالُ والاستفهامُ بأغراضِه المختلفة.

- الحوارُ القرآنيُّ في قصصِ إبراهيم عليه السلام له ضوابطُهُ وآدابُهُ وقواعِدُهُ التي تَرْسُمُ منهجًا قرآنيًا متكاملاً للمُتَحَاوِرَيْن، وقد وردتْ جملةُ آدابٍ، منها ما يتعلَّقُ بنفسيةِ المُحاوِرِ: كالإخلاصِ في الدَّعوةِ وصدقِ النِّيَّةِ للهِ تعالى، والحلمِ والصَّبر، والرَّحمةِ والشَّفقةِ بالطَّرَفِ الآخر، والعِزَّةِ والثَّباتِ على الحقّ، والتَّواضُعِ وحسنِ الخُلُقِ وغيرها. ومنها ما يتعلَّقُ بموضوعِ الحوارِ والمنهجِ الذي ينبغِي سُلُوكُهُ في ذلك: كالعِلْمِ وما يُصَاحِبُهُ من أدواتٍ كالدَّليلِ والبيانِ والوُضُوحِ، والبدءِ بالنقاطِ المشتركةِ والرَّدِّ على الشُّبَهِ بما يُنَاسِبُها، وإقامةِ الحُجَّةِ على الخصمِ وغيرها. ومنها ما يتعلَّقُ بملفوظاتِ المتحاوِرَيْنِ: كالتزامِ القولِ الحسنِ والكلمةِ الطيِّبةِ، والوَعْظِ التَّذكيرِ، وتجنُّبِ الطَّعْنِ والتَّجْرِيحِ والاحتقار، والتَّأَدُّبُ في السُّؤَال وغيرها.

- تضمَّنَ الحِوارُ في قصصِ إبراهيمَ عليه السلام دُرُوسًا عديدةً وفوائدَ وعبرًا كثيرةً، ينبغي تأمُّلها والوقوفُ عِنْدَهَا والعملُ بها، من أهَمِّهَا: موطِنُ العظمةِ في إبراهيمَ عليه السلام هو قَلْبُهُ الكَبِيرُ الذِي احْتَوَى وتَقَبَّلَ وَوَسِعَ النَّاسَ جميعاً، بدايةً بوالده وبَنِيهِ وذُرِّيَّتِه، ومُرُورًا بِقَوْمِهِ الذين طالما آذَوْه،

ونهايةً بقومِ لوطٍ الذين ترجَّى إبراهيمُ عليه السلام رحمةَ ربِّهِ عليهم. ولقد قدّم لنا عليه السلام أروعَ الأمثلةِ في الشجاعةِ حيثُ رفضَ وانتقدَ ما كان عليه قومُهُ، وسعَى إلى تغييرِ الوضعِ القائمِ المسيطِرِ على عُقُولِ بَنِي قَوْمِهِ فَلَبِسَ لِبَاسَ الشَّجاعةِ واستبْسَلَ في ذلكَ مُضَحِّياً بحياته في سبيلِ إعلاءِ كلمةِ الله. وفي خضمِّ دعوته كانت له مواقفُ مع أبيهِ، حاولَ فيها بِشَتَّى الطُّرُقِ والوسائلِ إنقاذَ أبيهِ من براثنِ الوثنيةِ التي تغلغلتْ في قلبِه منتهجًا النُّصحَ والحُجَّة، مُرَاعِيًا آدابَ الابن مع أبيه فكان مثالاً مُشرِقًا في حُسنِ معاملةِ أبيه وتقديرِهِ واحترامهِ رغمَ اختلافِ المَنَابِع والتَّصَوُّرَات. كما يُعَلِّمُنَا إبراهيمُ عليه السلام دروساً في الطَّاعةِ والتَّسليمِ والتضحية، حيثُ يُؤْمَرُ بذبحِ فلذةِ كبدهِ ووحيدهِ، في هذِهِ السِّنِّ الكَبيرةِ التي قدْ لاَ يتوقَّعُ الإنْجَابَ بعدها، وحين يُكِبُّ إبراهيمُ عليه السلام ابْنَهُ على جَبِينِهِ اسْتِعْدَادًا، ويَسْتَعْلِي الابْنُ بِإيمانه كَأَبِيهِ فَيَسْتَسْلِم، تظهرُ العنايةُ الربانيةُ والقدرةُ الإلهيةُ لِتُعْلِنَ عن تَفوُّقِهِمَا في الامتحانِ وتغلُّبِهِمَا على الابتلاءِ وتفدِيهِ بِذِبْحٍ عَظِيم. وهذَا إبراهيمُ عليه السلام يُعْطِينَا القُدْوةَ في الكَرَمِ والسَّخَاء، حينَ تَأْتِيهِ رُسُلُ اللهِ فَيُسَارِعُ إلى تقديمِ أجودِ ما عندَهُ من الطَّعامِ وهو العجلُ المشويُّ دونَ أنْ يسأَلَهُم، ثم يُقَرِّبُهُ إليهِمْ ويدْعُوهُم إلى الأكلِ بصيغةِ العرضِ والتَّلَطُّف، ثم يتأكَّدُ هلْ أكَلُوا أمْ لاَ، وهَذِهِ غايةُ الكَرَمِ والعَطَاء.

ونشيرُ في نهايةِ خاتمتنا هذه إلى أن قصصَ القرآنِ الكريمِ فوائدُهَا عظيمةٌ ولا تنتهي، وهَذَا هُوَ شأنُ كتابِ اللهِ كُلِّه، فنوصي طلبةَ العلمِ بالعنايةِ بكتابِ اللهِ تعالى فهمًا وتدبُّرًا واستنباطًا من مَعينه وعملاً بهداياته، فإن الذي يأتِي من بَعْدُ ويفتحُ اللهُ عليهِ سَيُخْرِجُ ما لم يُخْرِجْهُ غيرُهُ من الأحكامِ والعِبَرِ والفَوائد، وإن جانباً واحِداً عَنَيْنَاهُ بدراستنَا المتواضِعَةِ للحوارِ في قصَّةِ إبراهيمَ الخليل عليه السلام أخذَ ما أَخَذَ من الكلام، وهنا يقفُ الإنسانُ مستشعراً عظمةَ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وعُلُوَّه، وهذا القصصُ القرآني جزءٌ من كتابِ اللهِ فكيفَ بكتابِ اللهِ كُلِّه، كما نُوصِي المعنيينَ بالحِوار أن يَعْتَنُوا بالتأصيلِ الشَّرعيِ له، وأن يكون الحقُّ رائِدَهُم وقائِدَهُم، ونُوصِي الجامعاتِ بعالَمِنَا الإسلاميِّ وكَذَا الدُّعَاةَ والمُرْشِدِينَ بنشرِ ثقافةِ الحوارِ وتطبيقهِ عمليًّا وعدمِ الاكتفاءِ بالتَّنظيرِ لهُ والحديثِ عنه.

وصَلَّى اللهُ على سيِّدِنَا محمد ﷺ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ، ومن تَبِعَهُم بِإحْسَانٍ إلى يومِ الدِّين.

والحمدُ لله رَبِّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

1. **أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري**

تح: محمد باسل عُيون السّود، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، جزءين، 1998 م.

2. **أصولُ الحوارِ وآدابُهُ في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد،**

دار المنارة للنشر والتوزيع جدة / مكة، ط 1، 1994 م.

3. **تفسير ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي**

دار الأندلس، بيروت - لبنان، ط 8، 7 أجزاء، 1986 م.

4. **تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور**

الدار التونسية للنشر، المدرسة الوطنية للكتاب – الجزائر، 30 جزء، 1984 م.

5. **تفسير السعدي " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "، عبد الرحمن بن ناصر السعدي**

مؤسسة الرسالة، ط 1، 2002 م.

6. **تفسير القرطبي " الجامع لأحكام القرآن "، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي**

دار الكتاب العربي، القاهرة – مصر، ط 3، 20 جزء، 1967 م.

7. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري**

دار ابن حزم، بيروت – لبنان / دار الأعلام، عمّان – الأردن، ط 1، 30 جزء، 2002م.

8. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن أحمد زمزمي
دار التربية والتراث مكة المكرمة / رمادي للنشر الدمّام، ط 1، 1994 م.
(أصل الكتاب رسالة ماجيستر من جامعة أم القرى).

9. الحوار في الإسلام، أ.د. عبد الله بن حسين الموجان،
نشر مركز الكون، ط 1، 2006م.

10. الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله
الدار الإسلامية، ط 1، 1979 م.

11. خصائص النّظم القرآني في قصّة إبراهيم عليه السلام، د. الشّحات محمد أبو ستيت
مطبعة الأمانة، القاهرة – مصر، ط 1، 1991 م.

12. الصّحاح " تاج اللغة وصحاح العربية "، إسماعيل بن حمّاد الجوهري
تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 6 أجزاء، 1990 م.

13. شواهد اليقين في استدلال الخليل عليه السلام على ربّ العالمين، سامي السويلم
(د ط)، 2001 م.

14. في ظلال القرآن، سيّد قطب
دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 15، 1988 م.

15. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزابادي
شركة فن الطباعة، مصر، 4 أجزاء، ط 5، 1954 م.

16. قصص الأنبياء، عماد الدّين إسماعيل ابن كثير

تح: محمد أحمد عبد العزيز، دار مصر للطباعة / دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 1981 م.

17. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري

دار المعرفة، بيروت – لبنان، 4 أجزاء، (د ط)، (د ت ط).

18. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري

دار صادر / دار بيروت، بيروت – لبنان، 30 جزء، (د ط)، 1968 م.

19. مختصر تفسير المنار، محمد رشيد رضا

المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1984 م.

20. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي

دار الفكر، بيروت – لبنان، (د ط)، 1987 م.

21. مواقف إيمانية من قصة الخليل إبراهيم عليه السلام، مهاب محمد عثمان

ط 1، 2003 م.

فهرس الموضوعات

مقدمة **2**

تمهيد **4**

خطة البحث **7**

الفصل الأول: مدخل إلى حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن **8**

المبحث الأول: تعـــريفُ الحوار، نشأتـــهُ وأهدافُه **8**

المبحث الثاني: أنواعُ الحوارِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن **13**

المبحث الثالث: موضوعاتُ الحوارِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن **19**

الفصل الثاني: منهجُ إبراهيم عليه السلام في حواراتِه في القرآن وثمراتُه **34**

المبحث الأول: أســـاليبُ الحوار في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن **34**

المبحث الثاني: ضـــوابـــطُ الحـــوارِ في قصـــةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن **47**

المبحث الثالث: الدُّروسُ المستفادةُ من الحوارِ في قصةِ إبراهيم عليه السلام في القرآن **57**

خاتمـــة **62**

قائمة المصادر والمراجع **65**

فهرس الموضوعات **68**